(٧٧) سورة المرسلات مكية وآياتها خمسون

● **سورة** المرسلات مكية ، وهي كسائر السور المكية تعالج أمور العقيدة ، وتبحث عن شئون الآخرة ، ودلائل القدرة والوحدانية ، ، وسائر الأمور الغيبية .

● **ابتدأت** السورة الكريمة بالقسم بأنواع الملائكة ، المكلفين بتدبير شئون الكون ، على أن القيامة حقٌ ، وأن العذاب والهلاك واقع على الكافرين ﴿ والمرسلات عرفاً . فالعاصفات عصفاً . والناشرات نشراً . فالفارقات فرقاً . فالملقياتِ ذكراً . عذراً أو نذراً . إنما توعدون لواقع ﴾ .

● **ثم تحدثت** عن وقت ذلك العذاب الذي وُعد به المجرمون ﴿ فإذا النجوم طمست . وإذا السماء فرجت . وإذا الجبال نسفت . وإذا الرسل أقتتت . لأي يومٍ أُجّلت . ليوم الفصل . وما أدراك ما يوم الفصل ﴾ ؟

● **وتناولت** السورة بعد ذلك دلائل قدرة الله الباهرة على إعادة الإنسان بعد الموت ، وإحيائه بعد الفناء ﴿ ويلٌ يومئذٍ للمكذبين . ألم نهلك الأولين . ثم نتبعهم الآخرين ؟ كذلك نفعل بالمجرمين . ويلٌ يومئذٍ للمكذبين . ألم نخلقكم من ماءٍ مهين .. ﴾ ؟ الآيات

● **ثم تحدثت** عن مآل المجرمين في الآخرة وما يلقون فيه من

نكال وعقاب ﴿ ويلٌ يومئذٍ للمكذبين . انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون . انطلقوا إلى ظلٍ ذي ثلاث شعب . لا ظليلٍ ولا يغني من اللهب . إنها ترمي بشرركا لقصر . كأنه جمالتٌ صفر .. ﴾ الآيات

● **وبعد** الحديث عن المجرمين ، تحدثت السورة عن المؤمنين المتقين ، وذكرت ما أعده الله تعالى لهم من أنواع الإفضال والإكرام ﴿ إن المتقين في ظلال وعيون . وفواكه مما يشتهون . كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون . إنا كذلك نجزي المحسنين ﴾ .

● **وختمت** السورة الكريمة ببيان سبب امتناع الكفار ، عن عبادة الله الواحد القهار ، وهو الطغيان والإجرام ﴿ ويلٌ يومئذٍ للمكذبين . كلوا وتمتعوا قليلاً انكم مجرمون . ويل يومئذٍ للمكذبين . وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون . ويل يومئذٍ للمكذبين فبأي حديث بعده يؤمنون ﴾ ؟

سورة المرسلات

[٩٩٧] أخرج ابن المنذر عن مجاهد في قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾﴾ (١) قال: نزلت في ثقيف.

* * *

---

[٩٩٧] (١) سورة المرسلات: الآية (٤٨).

سورة المرسلات

وهي خمسون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۝١ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ۝٢ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ۝٣ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ۝٤ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦﴾

في الآية مسائل:

المسألة الأولى: اعلم أن هذه الكلمات الخمس إما أن يكون المراد منها جنسًا واحدًا أو أجناسًا مختلفة أما الاحتمال الأول: فذكروا فيه وجوهًا: الأول: أن المراد منها بأسرها الملائكة فالمرسلات هم الملائكة الذين أرسلهم الله إما بإيصال النعمة إلى قوم أو لإيصال النقمة إلى آخرين، وقوله: ﴿عُرْفًا﴾ فيه وجوه: أحدها: متتابعة كشعر العرف يقال: جاءوا عرفًا واحدًا وهم عليه كعرف الضبع إذا تألبوا عليه، والثاني: أن يكون بمعنى العرف الذي هو نقيض النكرة فإن هؤلاء الملائكة إن كانوا بعثوا للرحمة، فهذا المعنى فيهم ظاهر وإن كانوا لأجل العذاب فذلك العذاب، وإن لم يكن معروفًا للكفار، فإنه معروف للأنبياء والمؤمنين الذين انتقم الله لهم منهم. والثالث: أن يكون مصدرًا كأنه قيل: والمرسلات أرسالاً أي متتابعة وانتصاب عرفًا على الوجه الأول على الحال، وعلى الثاني لكونه مفعولاً أي أرسلت للإحسان والمعروف وقوله: ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ فيه وجهان: الأول: يعني أن الله تعالى لما أرسل أولئك الملائكة فهم عصفوا في طيرانهم كما تعصف الرياح. والثاني: أن هؤلاء الملائكة يعصفون بروح الكافر يقال: عصف بالشيء إذا أباده وأهلكه، يقال: ناقة عصوف، أي تعصف براكبها فتمضي كأنها ريح في السرعة، وعصفت الحرب بالقوم، أي ذهبت بهم، قال الشاعر:

فِي فَيْلَقٍ شَهْبَاءَ مَلْمُومَةٍ ... تَعْصِفُ بِالْمُقْبِلِ وَالْمُدْبِرِ

وقوله تعالى: ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾ معناه أنهم نشروا أجنحتهم عند انحطاطهم إلى الأرض، أو نشروا الشرائع في الأرض، أو نشروا الرحمة أو العذاب، أو المراد الملائكة الذين ينشرون الكتب يوم الحساب، وهي الكتب التي فيها أعمال بني آدم، قال تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣] وبالجملة فقد نشروا الشيء الذي أمروا بإيصاله إلى أهل الأرض ونشره فيهم وقوله تعالى: ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا﴾ معناه أنهم يفرقون بين الحق والباطل، وقوله: ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾ معناه أنهم يلقون الذكر إلى الأنبياء، ثم المراد من الذكر يحتمل أن يكون مطلق العلم والحكمة،

كما قال: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾[النحل: ٢] ويحتمل أن يكون المراد هو القرآن خاصة، وهو قوله: ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾[القمر: ٢٥] وقوله: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾[القصص: ٨٦] وهذا الملقى وإن كان هو جبريل عليه السلام وحده، إلا أنه يجوز أن يسمى الواحد باسم الجماعة على سبيل التعظيم.

واعلم أنك قد عرفت أن المقصود من القسم التنبيه على جلالة المقسم به، وشرف الملائكة وعلو رتبتهم أمر ظاهر من وجوه: أحدها: شدة مواظبتهم على طاعة الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[النحل: ٥٠]، ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾[الأنبياء: ٢٧] وثانيها: أنهم أقسام: فمنهم من يرسل لإنزال الوحي على الأنبياء، ومنهم من يرسل للزوم بني آدم لكتابة أعمالهم؛ طائفة منهم بالنهار وطائفة منهم بالليل، ومنهم من يرسل لقبض أرواح بني آدم، ومنهم من يرسل بالوحي من سماء إلى أخرى، إلى أن ينزل بذلك الوحي ملك السماء إلى الأرض، ومنهم الملائكة الذين ينزلون كل يوم من البيت المعمور إلى الكعبة على ما روي ذلك في الأخبار، فهذا مما ينتظمه قوله: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ ثم ما فيها من سرعة السير، وقطع المسافات الكثيرة في المدة اليسيرة، كقوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[المعارج: ٤] ثم ما فيها من نشر أجنحتهم العظيمة عند الطيران، ونشر العلم والحكمة والنبوة والهداية والإرشاد والوحي والتنزيل، وإظهار الفرق بين الحق والباطل بسبب إنزال ذلك الوحي والتنزيل، وإلقاء الذكر في القلب واللسان بسبب ذلك الوحي، وبالجملة فالملائكة هم الوسائط بين الله تعالى، وبين عباده في الفوز بجميع السعادات العاجلة والآجلة والخيرات الجسمانية والروحانية، فلذلك أقسم الله بهم.

القول الثاني: أن المراد من هذه الكلمات الخمس بأسرها الرياح، أقسم الله برياح عذاب أرسلها عرفًا، أي متتابعة كشعر العرف، كما قال: ﴿يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾[الروم: ٤٦] ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ﴾[الحجر: ٢٢] ثم إنها تشتد حتى تصير عواصف ورياح رحمة نشرت السحاب في الجو، كما قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾[الأعراف: ٥٧] وقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[الروم: ٤٨] ويجوز أيضًا أن يقال: الرياح تعين النبات والزرع والشجر على النشور والإنبات، وذلك لأنها تلقح فيبرز النبات بذلك، على ما قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾[الحجر: ٢٢] فبهذا الطريق تكون الرياح ناشرة للنبات وفي كون الرياح فارقة وجوه أحدها: أن الرياح تفرق بعض أجزاء السحاب عن بعض، وثانيها: أن الله تعالى خرب بعض القرى بتسليط الرياح عليها، كما قال: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾[الحاقة: ٦] وذلك سبب لظهور الفرق بين أولياء الله وأعداء الله، وثالثها: أن عند حدوث الرياح المختلفة، وترتيب الآثار العجيبة عليها من تموج السحاب وتخريب الديار تصير الخلق مضطرين إلى الرجوع إلى الله والتضرع على باب رحمته، فيحصل الفرق بين المقر والمنكر والموحد والملحد، وقوله:

﴿ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾ معناه أن العاقل إذا شاهد هبوب الرياح التي تقلع القلاع، وتهدم الصخور والجبال، وترفع الأمواج تمسك بذكر الله والتجأ إلى إعانة الله، فصارت تلك الرياح كأنها ألقت الذكر والإيمان والعبودية في القلب، ولا شك أن هذه الإضافة تكون على سبيل المجاز من حيث إن الذكر حصل عند حدوث هذه.

القول الثالث: من الناس من حمل بعض هذه الكلمات الخمسة على القرآن، وعندي أنه يمكن حمل جميعها على القرآن، فقوله: ﴿ وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ﴾ المراد منها الآيات المتتابعة المرسلة على لسان جبريل عليه السلام إلى محمد ﷺ، وقوله: ﴿ عُرۡفًا﴾ أي نزلت هذه الآيات بكل عرف وخير وكيف لا وهي الهادية إلى سبيل النجاة والموصلة إلى مجامع الخيرات ﴿ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفًا﴾ فالمراد أن دولة الإسلام والقرآن كانت ضعيفة في الأول، ثم عظمت وقهرت سائر الملل والأديان، فكأن دولة القرآن عصفت بسائر الدول والملل والأديان وقهرتها، وجعلتها باطلة دائرة، وقوله: ﴿ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرًا﴾ المراد أن آيات القرآن نشرت آثار الحكمة والهداية في قلوب العالمين شرقًا وغربًا، وقوله: ﴿ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقًا﴾ فذلك ظاهر، لأن آيات القرآن هي التي تفرق بين الحق والباطل، ولذلك سمي الله تعالى القرآن فرقانًا، وقوله: ﴿ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾ فالأمر فيه ظاهر، لأن القرآن ذكر، كما قال تعالى: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ [ص: ١] ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ﴾ [الزخرف: ٤٤] ﴿وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ﴾ [الأنبياء: ٥٠] وتذكرة كما قال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [الحاقة: ٤٨] وذكرى كما قال: ﴿ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠] فظهر أنه يمكن تفسير هذه الكلمات الخمسة بالقرآن، وهذا وإن لم يذكره أحد فإنه محتمل.

القول الرابع: يمكن حملها أيضًا على بعثة الأنبياء عليهم السلام ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفًا﴾ [المرسلات: ١] هم الأشخاص الذين أرسلوا بالوحي المشتمل على كل خير ومعروف، فإنه لا شك أنهم أرسلوا بلا إله إلا الله، وهو مفتاح كل خير ومعروف ﴿ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفًا﴾ معناه أن أمر كل رسول يكون في أول الأمر حقيرًا ضعيفًا، ثم يشتد ويعظم ويصير في القوة كعصف الرياح ﴿ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرًا﴾ المراد منه انتشار دينهم ومذهبهم ومقالتهم ﴿ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقًا﴾ المراد أنهم يفرقون بين الحق والباطل والتوحيد والإلحاد ﴿ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾ المراد أنهم يدعون الخلق إلى ذكر الله، ويأمرونهم به ويحثونهم عليه.

القول الخامس: أن يكون المراد أن الرجل قد يكون مشتغلاً بمصالح الدنيا مستغرقًا في طلب لذاتها وراحاتها، ففي أثناء ذلك يرد في قلبه داعية الإعراض عن الدنيا والرغبة في خدمة المولى، فتلك الدواعي هي المرسلات عرفًا، ثم هذه المرسلات لها أثران أحدهما: إزالة حب ما سوى الله تعالى عن القلب، وهو المراد من قوله: ﴿ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفًا﴾، والثاني: ظهور أثر تلك الداعية في جميع الجوارح والأعضاء حتى لا يسمع إلا الله، ولا يبصر إلا الله، ولا ينظر إلا الله، فذلك هو قوله: ﴿ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرًا﴾ ثم عند ذلك ينكشف له نور جلال الله فيراه موجودًا، ويرى كل ما سواه معدومًا، فذلك قوله: ﴿ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقًا﴾ ثم يصير العبد كالمشتهر في محبته، ولا

يبقى في قلبه ولسانه إلا ذكره، فذلك قوله: ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾.

واعلم أن هذه الوجوه الثلاثة الأخيرة، وإن كانت غير مذكورة إلا أنها محتملة جدًا. وأما الاحتمال الثاني: وهو أن لا يكون المراد من الكلمات الخمس شيئًا واحدًا، ففيه وجوه الأول: ما ذكره الزجاج واختيار القاضي، وهو أن الثلاثة الأول هي الرياح، فقوله: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ هي الرياح التي تتصل على العرف المعتاد (والعاصفات) ما يشتد منه، ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ﴾ ما ينشر السحاب. أما قوله: ﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا﴾ فهم الملائكة الذين يفرقون بين الحق والباطل، والحلال والحرام، بما يتحملونه من القرآن والوحي، وكذلك قوله: ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ أنها الملائكة المتحملة للذكر الملقية ذلك إلى الرسل، فإن قيل: وما المجانسة بين الرياح وبين الملائكة حتى يجمع بينهما في القسم؟ قلنا: الملائكة روحانيون، فهم بسبب لطافتهم وسرعة حركاتهم كالرياح، القول الثاني: أن الاثنين الأولين هما الرياح، فقوله: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا﴾ هما الرياح، والثلاثة الباقية الملائكة، لأنها تنشر الوحي والدين، ثم لذلك الوحي أثران أحدهما: حصول الفرق بين المحق والمبطل، والثاني: ظهور ذكر الله في القلوب والألسنة، وهذا القول ما رأيته لأحد، ولكنه ظاهر الاحتمال أيضًا، والذي يؤكده أنه قال: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا﴾ عطف الثاني على الأول بحرف الفاء، ثم ذكر الواو فقال: ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا﴾ وعطف الاثنين الباقيين عليه بحرف الفاء، وهذا يقتضي أن يكون الأولان ممتازين عن الثلاثة الأخيرة القول الثالث: يمكن أيضًا أن يقال: المراد بالأولين الملائكة، فقوله: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ ملائكة الرحمة، وقوله: ﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا﴾ ملائكة العذاب، والثلاثة الباقية آيات القرآن، لأنها تنشر الحق في القلوب والأرواح، وتفرق بين الحق والباطل، وتلقي الذكر في القلوب والألسنة، وهذا القول أيضًا ما رأيته لأحد، وهو محتمل، ومن وقف على ما ذكرناه أمكنه أن يذكر فيه وجوهًا، والله أعلم بمراده.

المسألة الثانية: قال القفال: الوجه في دخول الفاء في بعض ما وقع به القسم، والواو في بعض مبني على الأصل، وهو أن عند أهل اللغة الفاء تقتضي الوصل والتعلق، فإذا قيل: قام زيد فذهب، فالمعنى أنه قام ليذهب فكان قيامه سببًا لذهابه ومتصلاً به، وإذا قيل: قام وذهب فهما خبران كل واحد منهما قائم بنفسه لا يتعلق بالآخر، ثم إن القفال لما مهد هذا الأصل فرع الكلام عليه في هذه الآية بوجوه لا يميل قلبي إليها، وأنا أفرع على هذا الأصل فأقول: أما من جعل الأولين صفتين لشيء والثلاثة الأخيرة صفات لشيء واحد، فالإشكال عنه زائل، وأما من جعل الكل صفات لشيء واحد، فنقول: إن حملناها على الملائكة، فالملائكة إذا أرسلت طارت سريعًا، وذلك الطيران هو العصف، فالعصف مرتب على الإرسال فلا جرم ذكر الفاء، أما النشر فلا يترتب على الإرسال، فإن الملائكة أول ما يبلغون الوحي إلى الرسل لا يصير في الحال ذلك الدين مشهورًا منتشرًا، بل الخلق يؤذون الأنبياء في أول الأمر وينسبونهم إلى الكذب والسحر

والجنون، فلا جرم لم يذكر الفاء التي تفيد التعقيب بل ذكر الواو، بل إذا حصل النشر ترتب عليه حصول الفرق بين الحق والباطل وظهور ذكر الحق على الألسنة فلا جرم ذكر هذين الأمرين بحرف الفاء، فكأنه والله أعلم قيل: يا محمد إني أرسلت الملك إليك بالوحي الذي هو عنوان كل سعادة، وفاتحة كل خير، ولكن لا تطمع في أن ننشر ذلك الأمر في الحال، ولكن لا بد من الصبر وتحمل المشقة، ثم إذا جاء وقت النصرة اجعل دينك ظاهرًا منتشرًا في شرق العالم وغربه، وعند ذلك الانتشار يظهر الفرق فتصير الأديان الباطلة ضعيفة ساقطة، ودينك هو الدين الحق ظاهرًا غالبًا، وهنالك يظهر ذكر الله على الألسنة، وفي المحاريب وعلى المنابر ويصير العالم مملوءًا من ذكر الله، فهذا إذا حملنا هذه الكلمات الخمس على الملائكة، ومن عرف هذا الوجه أمكنه ذكر ما شابهه في الرياح وسائر الوجوه، والله أعلم.

أما قوله: ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ ففيه مسألتان:

المسألة الأولى: فيهما قراءتان التخفيف وهو قراءة أبي عمرو وعاصم من رواية حفص والباقون قرأوا بالتثقيل، أما التخفيف فلا نزاع في كونه مصدرًا، والمعنى إعذارًا وإنذارًا، وأما التثقيل فزعم أبو عبيدة أنه جمع وليس بمصدر، وأما الأخفش والزجاج فزعما أنه مصدر، والتثقيل والتخفيف لغتان، وقرر أبو علي قول الأخفش والزجاج، وقال: العُذر والعَذِير والنذر والنذير مثل النُّكْر والنَّكِير، ثم قال أبو علي: ويجوز في قراءة من ثقل أن يكون عذرًا جمع عاذر كشرف وشارف، وكذلك النذر يجوز أن يكون جمع نذير، قال تعالى: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ [النجم: ٥٦].

المسألة الثانية: في النصب ثلاثة أوجه: أما على تقدير كونه مصدرًا فوجهان أحدهما: أن يكون مفعولاً على البدل من قوله: ذكرًا، والثاني: أن يكون مفعولاً له، والمعنى والملقيات ذكرًا للإعذار والإنذار، وأما على تقدير كونه جمعًا، فنصب على الحال من الإلقاء والتقدير فالملقيات ذكرًا حال كونهم عاذرين ومنذرين.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧﴾

جواب القسم والمعنى: إن الذي توعدون به من مجيء يوم القيامة لكائن نازل، وقال الكلبي: المراد أن كل ما توعدون به من الخير والشر لواقع، واحتج القائلون بالتفسير الأول بأنه تعالى ذكر عقيب هذه الآيات، علامات يوم القيامة، فدل على أن المراد من هذه الآية هو القيامة فقط، ثم إنه ذكر علامات وقوع هذا اليوم.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١﴾

أولها: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ وذكرنا تفسير الطمس عند قوله: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ

أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [يونس: ٨٨]وبالجملة فيحتمل أن يكون المراد محقت ذواتها، وهو موافق لقوله: ﴿ٱنتَثَرَتْ﴾ [الإنفطار: ٢]و﴿ٱنكَدَرَتْ﴾ [التكوير: ٢]وأن يكون المراد محقت أنوارها، والأول أولى، لأنه لا حاجة فيه إلى الإضمار. ويجوز أن يمحق نورها ثم تنتثر ممحوقة النور.

وثانيها: قوله: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ﴾ الفرج الشق يقال: فرجه الله فانفرج، وكل مشقوق فرج، فهاهنا قوله: فرجت أي شقت، نظيره ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١]﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ [الفرقان: ٢٥]وقال ابن قتيبة: معناه فتحت، نظيره ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ [النبأ: ١٩]قال الشاعر:

الفَارِجِي بَابَ الأَمِيرِ المُبْهَمِ

وثالثها: قوله: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ وفيه وجهان أحدهما: نسفت كالحب المغلث إذا نسف بالمنسف، ومنه قوله: ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ﴾ [طه: ٩٧]ونظيره ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ [الواقعة: ٥]﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل: ١٤]، ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ [طه: ١٠٥]والثاني: اقتلعت بسرعة من أماكنها من انتسفت الشيء إذا اختطفته، وقرئ (طُمِّسَتْ) و(فُرِّجَتْ) و(نُسِّفَتْ) مشددة.

ورابعها: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ **وفيه مسألتان:**

المسألة الأولى: أقتت أصلها وقتت ويدل عليه وجوه أحدها: قراءة أبي عمرو: (وُقِّتَتْ) بالواو وثانيها: أن أصل الكلمة من الوقت، وثالثها: أن كل واو انضمت وكانت ضمتها لازمة فإنها تبدل على الإطراد همزة أولاً وحشوًا، ومن ذلك أن تقول: صلى القوم إحدانًا، وهذه أجوه حسان وأدؤر في جمع دار، والسبب فيه أن الضمة من جنس الواو، فالجمع بينهما يجري مجرى جمع المثلين فيكون ثقيلاً، ولهذا السبب كان كسر الياء ثقيلاً.

أما قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]فلا يجوز فيه البدل لأن الضمة غير لازمة، ألا ترى أنه لا يسوغ في نحو قولك: ﴿هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ [الأنبياء: ٣٨]أن تبدل.

المسألة الثانية: في التأقيت قولان: الأول: وهو قول مجاهد والزجاج أنه تبيين الوقت الذي فيه يحضرون للشهادة على أممهم، وهذا ضعيف، وذلك لأن هذه الأشياء جعلت علامات لقيام القيامة، كأنه قيل: إذا كان كذا وكذا كانت القيامة، ولا يليق بهذا الموضع أن يقال: وإذا بين لهم الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على أممهم قامت القيامة لأن ذلك البيان كان حاصلاً في الدنيا ولأن الثلاثة المتقدمة وهي الطمس والفرج والنسف مختصة بوقت قيام القيامة، فكذا هذا التوقيت يجب أن يكون مختصًا بوقت قيام القيامة، القول الثاني: أن المراد بهذا التأقيت تحصيل الوقت وتكوينه، وهذا أقرب أيضًا إلى مطابقة اللفظ، لأن بناء التفعيلات على تحصيل تلك الماهيات، فالتسويد تحصيل السواد والتحريك تحصيل الحركة، فكذا التأقيت تحصيل الوقت ثم إنه ليس في اللفظ بيان أنه تحصيل لوقت أي شيء، وإنما لم يبين ذلك ولم يعين لأجل أن يذهب الوهم إلى كل جانب فيكون التهويل فيه أشد فيحتمل أن يكون المراد تكوين الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على أممهم وأن يكون هو الوقت الذي يجتمعون فيه للفوز بالثواب، وأن

يكون هو وقت سؤال الرسل عما أجيبوا به وسؤال الأمم عما أجابوهم، كما قال: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦] وأن يكون هو الوقت الذي يشاهدون الجنة والنار والعرض والحساب والوزن وسائر أحوال القيامة، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠].

قوله تعالى: ﴿لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ أي أخرت كأنه تعالى يعجب العباد من تعظيم ذلك اليوم فقال: لأي يوم أخرت الأمور المتعلقة بهؤلاء: وهي تعذيب من كذبهم وتعظيم من آمن بهم وظهور ما كانوا يدعون الخلق إلى الإيمان به من الأهوال والعرض والحساب ونشر الدواوين ووضع الموازين.

ثم إنه تعالى بيّن ذلك فقال: ﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: يوم يفصل الرحمن بين الخلائق، وهذا كقوله: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الدخان: ٤٠].

ثم أتبع ذلك تعظيمًا ثانيًا فقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ أي وما علمك بيوم الفصل وشدته ومهابته.

ثم اتبعه بتهويل ثالث فقال: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي للمكذبين بالتوحيد والنبوة والمعاد وبكل ما ورد من الأنبياء عليهم السلام وأخبروا عنه، **بقي هاهنا سؤالان.**

السؤال الأول: كيف وقع النكرة مبتدأ في قوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾؟ الجواب: هو في أصله مصدر منصوب ساد مسد فعله، ولكنه عدل به إلى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه، ونحوه ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الزمر: ٧٣] ويجوز ويلاً بالنصب، ولكن لم يقرأ به.

السؤال الثاني: أين جواب قوله: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ [المرسلات: ٨]؟ الجواب: من وجهين أحدهما: التقدير: إنما توعدون لواقع، إذا النجوم طمست، وهذا ضعيف، لأنه يقع في قوله: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾، الثاني: أن الجواب محذوف، والتقدير ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ وإذا وإذا، فحينئذ تقع المجازاة بالأعمال وتقوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾﴾

اعلم أن المقصود من هذه الصورة تخويف الكفار وتحذيرهم عن الكفر.

فالنوع الأول: من التخويف أنه أقسم على أن اليوم الذي يوعدون به، وهو يوم الفصل واقع ثم هوّل فقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ [المرسلات: ١٤] ثم زاد في التهويل فقال: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ١٥].

والنوع الثاني من التخويف: ما ذكر في هذه الآية: وهو أنه أهلك الكفرة المتقدمين بسبب كفرهم. فإذا كان الكفر حاصلاً في هؤلاء المتأخرين، فلا بد وأن يهلكهم أيضًا ثم قال: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ كأنه يقول: أما الدنيا فحاصلهم الهلاك، وأما الآخرة فالعذاب الشديد وإليه الإشارة بقوله: ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١] وفي الآية سؤالان الأول: ما المراد من الأولين والآخرين؟ الجواب: فيه قولان: الأول: أنه أهلك الأولين من قوم نوح وعاد وثمود ثم أتبعهم الآخرين قوم شعيب ولوط وموسى كذلك نفعل بالمجرمين وهم كفار قريش، وهذا القول ضعيف لأن قوله: ﴿نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ بلفظ المضارع فهو يتناول الحال والاستقبال ولا يتناول الماضي ألبتة، القول الثاني: أن المراد بالأولين جميع الكفار الذين كانوا قبل محمد ﷺ، وقوله: ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ على الاستئناف على معنى سنفعل ذلك ونتبع الأول الآخر، ويدل على الاستئناف قراءة عبدالله (سنتبعهم)، فإن قيل: قرأ الأعرج (ثم نُتْبِعْهُم) بالجزم وذلك يدل على الاشتراك في ألم، وحينئذ يكون المراد به الماضي لا المستقبل، قلنا: القراءة الثابتة بالتواتر نتبعهم بحركة العين، وذلك يقتضي المستقبل، فلو اقتضت القراءة بالجزم أن يكون المراد هو الماضي لوقع التنافي بين القراءتين، وإنه غير جائز. فعلمنا أن تسكين العين ليس للجزم بل للتخفيف كما روي في بيت امرئ القيس:

وَالْيَوْمَ أَشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبِ (١)

ثم إنه تعالى لما بيّن أنه يفعل بهؤلاء المتأخرين مثل ما يفعل بأولئك المتقدمين قال: ﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ أي هذا الإهلاك إنما نفعله بهم لكونهم مجرمين، فلا جرم عَمَّ في جميع المجرمين، لأن عموم العلة يقتضي عموم الحكم.

ثم قال تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي هؤلاء وإن أهلكوا وعذبوا في الدنيا، فالمصيبة العظمى والطامة الكبرى معدة لهم يوم القيامة.

السؤال الثاني: المراد من الإهلاك في قوله: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ هو مطلق الإماتة أو الإماتة بالعذاب؟ فإن كان ذلك هو الأول لم يكن تخويفًا للكفار، لأن ذلك أمر حاصل للمؤمن والكافر، فلا يصلح تحذيرًا للكافر، وإن كان المراد هو الثاني وهو الإماتة بالعذاب، فقوله: ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ۝١٧ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ يقتضي أن يكون الله قد فعل بكفار قريش مثل ذلك، ومن المعلوم أنه لم يوجد ذلك، وأيضًا فلأنه تعالى قال: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣] الجواب: لم لا يجوز أن يكون المراد منه الإماتة بالتعذيب، وقد وقع ذلك في حق قريش وهو يوم بدر؟ سلمنا ذلك، فلم لا يجوز أن يكون المراد من الإهلاك معنى ثالثًا مغايرًا للأمرين اللذين ذكروهما وهو الإماتة المستعقبة للذم واللعن؟ فكأنه قيل: إن أولئك المتقدمين

---

(١) تقدمت ترجمة امرئ القيس.

لحرصهم على الدنيا عاندوا الأنبياء وخاصموهم، ثم ماتوا فقد فاتتهم الدنيا وبقي اللعن عليهم في الدنيا والعقوبة الأخروية دائمًا سرمدًا، فهكذا يكون حال هؤلاء الكفار الموجودين ومعلوم أن مثل هذا الكلام من أعظم وجوه الزجر.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾﴾

اعلم أن هذا هو النوع الثالث: من تخويف الكفار ووجه التخويف فيه من وجهين: الأول: أنه تعالى ذكَّرهم عظيم إنعامه عليهم، وكلما كانت نعمة الله عليهم أكثر كانت جنايتهم في حقه أقبح وأفحش، وكلما كان كذلك كان العقاب أعظم، فلهذا قال عقيب ذكر هذا الإنعام: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾. الوجه الثاني: أنه تعالى ذكرهم كونه قادرًا على الابتداء، وظاهر في العقل أن القادر على الابتداء قادر على الإعادة، فلما أنكروا هذه الدلالة الظاهرة، لا جرم قال في حقهم: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ وأما التفسير فهو أن قوله: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ أي من النطفة، كقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة: ٨] ﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ وهو الرحم، لأن ما يخلق منه الولد لا بد وأن يثبت في الرحم ويتمكن بخلاف مالا يخلق منه الولد، ثم قال: ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ والمراد كونه في الرحم إلى وقت الولادة، وذلك الوقت معلوم لله تعالى لا لغيره كقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ إلى قوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: ٣٤] ﴿فَقَدَرْنَا﴾ قرأ نافع وعبدالله بن عامر بالتشديد، وقرأ الباقون بالتخفيف، أما التشديد فالمعنى إنا قدرنا ذلك تقديرًا فنعم المقدرون له نحن، ويتأكد هذا الوجه بقوله تعالى: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ [عبس: ١٩] ولأن إيقاع الخلق على هذا التقدير والتحديد نعمة من المقدِر على المخلوق فحسن ذكره في موضع ذكر المنة والنعمة، ومن طعن في هذه القراءة قال: لو صحت هذه القراءة لوجب أن يقال: فقدرنا فنعم المقدرون وأجيب عنه بأن العرب قد تجمع بين اللغتين، قال تعالى: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ [الطارق: ١٧] وأما القراءة بالتخفيف ففيها وجهان: الأول: أنه من القدرة أي فقدرنا على خلقه وتصويره كيف شئنا وأردنا ﴿فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ حيث خلقناه في أحسن الصور والهيئات، والثاني: أنه يقال: قدرت الشيء بالتخفيف على معنى قدرته، قال: الفراء العرب تقول: قُدِرَ عليه الموت، وقُدِّرَ عليه الموت، وقُدِرَ عليه رزقه وقُدِّر بالتخفيف والتشديد، قال تعالى: ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ [الفجر: ١٦].

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾﴾

اعلم أن هذا هو النوع الرابع من تخويف الكفار وذلك لأنه ذكَّرهم بالنعم التي له عليهم في

الأنفس، وفي هذه الآية ذكَّرهم بالنعم التي له عليهم في الآفاق، ثم قال في آخر الآية: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ والسبب فيه ما قدمنا أن النعم كلما كانت أكثر كانت الجناية أقبح فكان استحقاق الذم عاجلاً والعقاب آجلاً أشد، وإنما قدم تلك الآية على هذه الآية، لأن النعم التي في الأنفس كالأصل للنعم التي في الآفاق، فإنه لولا الحياة والسمع والبصر والأعضاء السليمة لما كان الانتفاع بشيء من المخلوق ممكنًا.

واعلم أنه تعالى ذكر هاهنا ثلاثة أشياء أولها: الأرض، وإنما قدمها لأن أقرب الأشياء إلينا من الأمور الخارجية هو الأرض، ومعنى الكفات في اللغة الضم والجمع يقال: كَفَتُّ الشيء أي ضممته، ويقال: جراب كفيت وكفت إذا كان لا يضيع شيئًا مما يجعل فيه، ويقال للقدر: كفت. قال صاحب الكشاف: هو اسم ما يكفت، كقولهم الضمام والجماع لما يضم ويجمع، ويقال: هذا الباب جماع الأبواب، وتقول: شددت الشيء ثم تسمي الخيط الذي تشد به الشيء شدادًا، وبه انتصب أحياء وأمواتًا كأنه قيل: كافتة أحياء وأمواتًا، أو بفعل مضمر يدل عليه وهو تكفت ويكون المعنى نكفتكم أحياء وأمواتًا، فينصبان على الحال من الضمير هذا هو اللغة، ثم في المعنى وجوه: أحدها: أنها تكفت أحياء على ظهرها وأمواتًا في بطنها والمعنى أن الأحياء يسكنون في منازلهم والأموات يدفنون في قبورهم، ولهذا كانوا يسمون الأرض أُمًّا لأنها في ضمها للناس كالأم التي تضم ولدها وتكفله، ولما كانوا يضمون إليها جعلت كأنها تضمهم وثانيها: أنها كِفَات الأحياء بمعنى أنها تكفت ما ينفصل عن الأحياء من الأمور المستقذرة، فأما أنها تكفت (الأَحْيَاءَ) حال كونهم على ظهرها فلا، وثالثها: أنها كِفَاتُ الأحياء بمعنى أنها جامعة لما يحتاج الإنسان إليه في حاجاته من مأكل ومشرب، لأن كل ذلك يخرج من الأرض والأبنية الجامعة للمصالح الدافعة للمضار مبنية منها، ورابعها: أن قوله: ﴿أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾ معناه راجع إلى الأرض، والحي ما أنبت والميت مالم ينبت، بقي في الآية سؤالان:

الأول: لم قيل: ﴿أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾ على التنكير وهي كِفَاتُ الأحياء والأموات جميعًا؟ الجواب: هو من تنكير التفخيم، كأنه قيل: تكفت أحياء لا يعدون، وأمواتًا لا يحصرون.

السؤال الثاني: هل تدل هذه الآية على وجوب قطع النَّبَّاش؟ الجواب: نقل القفال أن ربيعة قال: دلت الآية على أن الأرض كفات الميت فتكون حرزًا له، والسارق من الحرز يجب عليه القطع.

النوع الثاني: من النعم المذكورة في هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾ فقوله: ﴿رَوَاسِيَ﴾ أي ثوابت على ظهر الأرض لا تزول و ﴿شَامِخَاتٍ﴾ أي عاليات، وكل عال فهو شامخ، ويقال: للمتكبر شامخ بأنفه، ومنافع خلقة الجبال قد تقدمت في هذا الكتاب.

النوع الثالث: من النعم قوله تعالى: ﴿وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾ الفرات هو الغاية في العذوبة، وقد تقدم تفسيره في قوله: ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ [الفرقان: ٥٣].

قوله تعالى: ﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾

اعلم أن هذا هو النوع الخامس: من وجوه تخويف الكفار وهو بيان كيفية عذابهم في الآخرة فأما قوله: ﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ فالمعنى أنه يقال لهم: انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون من العذاب، والظاهر أن القائلين هم خزنة النار وانطلقوا الثاني تكرير، وقرأ يعقوب (انْطَلَقُوا) على لفظ الماضي، والمعنى أنهم انقادوا للأمر لأجل أنهم مضطرون إليه لا يستطيعون امتناعًا منه، وهذا بعيد لأنه كان ينبغي أن يقال: فانطلقوا بالفاء، ليرتبط آخر الكلام بأوله، قال المفسرون: إن الشمس تقرب يوم القيامة من رؤوس الخلائق، وليس عليهم يومئذ لباس ولا كنان، فتلفحهم الشمس وتسفعهم وتأخذ بأنفاسهم ويمتد ذلك اليوم، ثم ينجي الله برحمته من يشاء إلى ظل من ظله فهناك يقولون: ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾ [الطور: ٢٧] ويقال للمكذبين: انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون من عذاب الله وعقابه، وقوله: ﴿ إِلَىٰ ظِلٍّ ﴾ يعني دخان جهنم كقوله: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٣] ثم إنه تعالى وصف هذا الظل بصفات:

الصفة الأولى: قوله: ﴿ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴾ وفيه وجوه أحدها: قال الحسن: ما أدري ما هذا الظل، ولا سمعت فيه شيئًا، وثانيها: قال قوم المراد بقوله: إلى ظل ذي ثلاث شعب كون النار من فوقهم ومن تحت أرجلهم ومحيطة بهم، وتسمية النار بالظل مجاز من حيث إنها محيطة بهم من كل جانب كقوله: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦] وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥٥] وثالثها: قال قتادة: بل المراد الدخان وهو من قوله: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩] وسرادق النار هو الدخان، ثم إن شعبة من ذلك الدخان على يمينه وشعبة أخرى على يساره، وشعبة ثالثة من فوقه. وأقول هذا غير مستبعد لأن الغضب عن يمينه والشهوة عن شماله، والقوة الشيطانية في دماغه، ومنبع جميع الآفات الصادرة عن الإنسان في عقائده، وفي أعماله، ليس إلا هذه الثلاثة، فتولدت من هذه الينابيع الثلاثة أنواع من الظلمات، ويمكن أيضًا أن يقال: هاهنا درجات ثلاثة، وهي الحس والخيال، والوهم، وهي مانعة للروح عن الاستنارة بأنوار عالم القدس والطهارة، ولكل واحد من تلك المراتب الثلاثة نوع خاص من الظلمة، ورابعها: قال قوم: هذا كناية عن كون ذلك الدخان عظيمًا، فإن الدخان العظيم ينقسم إلى شعب كثيرة، وخامسها: قال أبو مسلم ويحتمل في ثلاث شعب ما ذكره بعد ذلك، وهو أنه: غير ظليل وأنه لا يغني من اللهب وبأنها ترمى بشرر كالقصر.

الصفة الثانية لذلك الظل قوله: ﴿ لَّا ظَلِيلٍ ﴾ وهذا تهكم بهم وتعريض بأن ظلهم غير ظل المؤمنين، والمعنى أن ذلك الظل لا يمنع حر الشمس.

الصفة الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَلَا يُغْنِي مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ يقال: أَغْنِ عني وجهك، أي أبعده لأن الغني عن الشيء يباعده، كما أن المحتاج يقاربه، قال صاحب (الكشاف): إنه في محل الجر، أي وغيره مغن عنهم، من حر اللهب شيئًا، قال القفال: وهذا يحتمل وجهين أحدهما: أن هذا الظل إنما يكون في جهنم، فلا يظلهم من حرها، ولا يسترهم من لهيبها، وقد ذكر الله في سورة الواقعة الظل فقال: ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۝ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ۝ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة: ٤٢-٤٤] وهذا كأنه في جهنم إذا دخلوها، ثم قال: ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ فيحتمل أن يكون قوله: ﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾ في معنى: ﴿لَّا بَارِدٍ﴾ وقوله: ﴿وَلَا يُغْنِي مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ في معنى: ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ أي لا روح له يلجأ إليه من لهب النار، والثاني: أن تكونَ ذلك إنما يكون قبل أن يدخلوا جهنم بل عندما يحبسون للحساب والعرض، فيقال لهم: إن هذا الظل لا يظلكم من حر الشمس ولا يدفع لهب النار، وفي الآية وجه ثان: وهو الذي قاله قطرب: وهو أن اللهب هاهنا هو العطش يقال: لهب لهبًا ورجل لهبان وامرأة لهبى.

الصفة الرابعة: قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ﴾ قال الواحدي: يقال شررة وشرر وشرارة وشرار، وهو ما تطاير من النار متبددًا في كل جهة وأصله من شررت الثوب إذا أظهرته وبسطته للشمس والشرار ينبسط متبددًا، واعلم أن الله تعالى وصف النار التي كان ذلك الظل دخانًا لها بأنها ترمي بالشرارة العظيمة، والمقصود منه بيان أن تلك النار عظيمة جدًّا، ثم إنه تعالى شبه ذلك الشرر بشيئين الأول: بالقصر وفي تفسيره قولان: أحدهما: أن المراد منه البناء المسمى بالقصر قال ابن عباس: يريد القصور العظام، الثاني: أنه ليس المراد ذلك، ثم على التقدير ففي التفسير وجوه أحدها: أنها جمع قَصْرَة ساكنة الصاد كتَمْرَة وتَمْر وجَمْرة وجَمْر، قال المبرد: يقال للواحد من الحطب الجزل الغليظ قصرة والجمع قصر، قال عبد الرحمن بن عابس: سألت ابن عباس عن القصر فقال: هو خشب كنا ندخره للشتاء نقطعه وكنا نسميه القصر، وهذا قول سعيد بن جبير ومقاتل والضحاك، إلا أنهم قالوا: هي أصول النخل والشجر العظام، قال صاحب (الكشاف): قرئ (كالقَصَر) بفتحتين وهي أعناق الإبل أو أعناق النخل نحو شجرة وشجر، وقرأ ابن مسعود كالقصر بمعنى القصر كرهن ورهن، وقرأ سعيد بن جبير كالقصر في جمع قصرة كحاجة وحوج.

التشبيه الثاني: قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾: **وفيه مسألتان:**

المسألة الأولى: جِمَالات جمع جِمَال كقولهم: رِجَالات ورِجَال وبِيوتَات وبيوت، وقرأ ابن عباس جُمَالاَت بضم الجيم وهو قراءة يعقوب وذكروا وجوهًا أحدها: قيل: الجمالات بالضم الحبال الغلاظ وهي حبال السفن، ويقال لها: القلوس ومنهم من أنكر ذلك وقال: المعروف في الحبال إنما هو الجُمَّل بضم الجيم وتشديد الميم وقرئ: (حَتَّى يَلِجَ الجُمَّل)، وثانيها: قيل هي قطع النحاس، وهو مروي عن علي بن أبي طالب عليه السلام، وابن عباس ومعظم أهل اللغة لا

يعرفونه، وثالثها: قال الفراء: يجوز أن يكون الجُمَالات بالضم من الشيء المجمل، يقال: أجملت الحساب، وجاء القوم جملة أي مجتمعين، والمعنى أن هذه الشررة ترتفع كأنها شيء مجموع غليظ أصفر، وهذا قول الفراء، ورابعها: قال الفراء: يجوز أن يقال: جمالات بضم الجيم جمع جمال بضم الجيم وجمال بضم الجيم يكون جمع جمل، كما يقال: رخل ورخال ورخال.

القراءة الثاني: جِمَالة بكسر الجيم هي جمع جَمَل مثل حَجَر وحِجَارة، قال أبو علي: والتاء إنما لحقت جمالاً لتأنيث الجمع، كما لحقت في فحل وفحالة.

القراءة الرابعة: جُمْلَة بضم الجيم وهي القلس، وقيل: صفر لإرادة الجنس، أما قوله: صفر فالأكثرون على أن المراد منه سود تضرب إلى الصفرة، قال الفراء: لا ترى أسود من الإبل إلا وهو مشوب صفرة، والشرر إذا تطاير فسقط وفيه بقية من لون النار كان أشبه بالجمل الأسود الذي يشوبه شيء من الصفرة. وزعم بعض العلماء أن المراد هو الصفرة لا السواد، لأن الشرر إنما يسمى شررًا ما دام يكون نارًا، ومتى كان نارًا كان أصفر، وإنما يصير أسود إذا انطفأ، وهناك لا يسمى شررًا، وهذا القول عندي هو الصواب.

المسألة الثانية: اعلم أنه تعالى شبه الشرر في العظم بالقصر، وفي اللون والكثرة والتتابع وسرعة الحركة بالجمالات الصفر، وقيل: أيضًا إن ابتداء الشرر يعظم فيكون كالقصر ثم يفترق فتكون تلك القطع المتفرقة المتتابعة كالجمالات الصفر، واعلم أنه نقل عن ابن عباس أنه قال في تفسير قوله: ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ أن هذا التشبيه إنما ورد في بلاد العرب، وقصورهم قصيرة السمك جارية مجرى الخيمة، فبيَّن تعالى أنها ترمى بشرر كالقصر، فلما سمع أبو العلاء المعري بهذا تصرف فيه وشبهه بالخيمة من الأديم، وهو قوله:

حَمْرَاءَ سَاطِعَةَ الذَّوَائِبِ فِي الدُّجَى ... تَرْمِي بِكُلِّ شرارة كطراف[1]

ثم زعم صاحب الكشاف أنه ذكر ذلك معارضة لهذه الآية، وأقول: كان الأولى لصاحب الكشاف أن لا يذكر ذلك، وإذ قد ذكره فلا بد لنا من تحقيق الكلام فيه، فنقول: تشبيه الشرارة بالطراف يفيد التشبيه في الشكل والعظم، أما الشكل فمن وجهين: الأول: أن الشرارة تكون قبل انشعابها كالنقطة من النار، فإذا انشعبت اتسعت فهي كالنقطة التي تتسع فهي تشبه الخيمة فإن رأسها كالنقطة ثم إنها لا تزال تتسع شيئًا فشيئًا، الثاني: أن الشرارة كالكرة أو الأسطوانة فهي شديدة الشبه بالخيمة المستديرة وأما التشبيه بالخيمة في النظم فالأمر ظاهر، هذا منتهى هذا التشبيه.

وأما وجه القدح فيه فمن وجوه الأول: أن لون الشرارة أصفر يشوبها شيء من السواد، وهذا

---

(١) هذا البيت لابن الوردي وقد تقدمت ترجمته.

المعنى حاصل في الجمالات الصفر وغير حاصل في الخيمة من الأديم، الثاني: أن الجمالات متحركة والخيمة لا تكون متحركة فتشبيه الشرار المتحرك بالجمالات المتحركة أولى، والثالث: أن الشرارات متتابعة يجيء بعضها خلف البعض وهذا المعنى حاصل في الجمالات الصفر وغير حاصل في الطراف، الرابع: أن القصر مأمن الرجل وموضع سلامته فتشبيه الشرر بالقصر تنبيه على أنه إنما تولدت آفته من الموضع الذي توقع منه الأمن والسلامة، وحال الكافر كذلك فإنه كان يتوقع الخير والسلامة من دينه، ثم إنه ما ظهرت له آفة ولا محنة إلا من ذلك الدين، والخيمة ليست مما يتوقع منها الأمن الكلي، الخامس: أن العرب كانوا يعتقدون أن كل الجَمَال في ملك الجِمَال وتمام النِّعم إنما يحصل بملك النَّعم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل: ٦] فتشبيه الشرر بالجِمَال السود كالتهكم بهم، كأنه قيل لهم: كنتم تتوقعون من دينكم كرامة ونعمة وجمالاً إلا أن ذلك الجَمَال هو هذه الشرارات التي هي كالجِمَال، وهذا المعنى غير حاصل في الطراف، السادس: أن الجِمَال إذا انفردت واختلط بعضها بالبعض فكل من وقع فيما بين أيديها وأرجلها في ذلك الوقت نال بلاء شديدًا وألمًا عظيمًا، فتشبيه الشرارات بها حال تتابعها يفيد حصول كمال الضرر، والطراف ليس كذلك، السابع: الظاهر أن القصر يكون في المقدار أعظم من الطراف والجمالات الصفر تكون أكثر في العدد من الطراف فتشبيه هذه الشرارات بالقصر وبالجمالات يقتضي الزيادة في المقدار وفي العدد وتشبيهها بالطراف لا يفيد شيئًا من ذلك، ولما كان المقصود هو التهويل والتخويف كان التشبيه الأول أولى، الثامن: أن التشبيه بالشيئين في إثبات وصفين أقوى في ثبوت ذينك الوصفين من التشبيه بالشيء الواحد في إثبات ذينك الوصفين، وبيانه أن من سمع قوله: ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ تسارع ذهنه إلى أن المراد إثبات عظم تلك الشرارات، ثم إذا سمع بعد ذلك قوله: ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ تسارع ذهنه إلى أن المراد كثرة تلك الشرارات وتتابعها ولونها. أما من سمع أن الشرار كالطراف يبقى ذهنه متوقفًا في أن المقصود بالتشبيه إثبات العظم أو إثبات اللون، فالتشبيه بالطراف كالمجمل، والتشبيه بالقصر وبالجمالات الصفر، كالبيان المفصل المكرر المؤكد. ولما كان المقصود من هذا البيان هو التهويل والتخويف، فكلما كان بيان وجوه العذاب أتم وأبين كان الخوف أشد، فثبت أن هذا التشبيه أتم. التاسع: أنه قال في أول الآية: ﴿انطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ﴾ والإنسان إنما يكون طيب العيش وقت الانطلاق والذهاب إذا كان راكبًا، وإنما يجد الظل الطيب إذا كان في قصره، فوقع تشبيه الشرارة بالقصر والجمالات، كأنه قيل له: مركوبك هذه الجمالات، وظلك في مثل هذا القصر، وهذا يجري مجرى التهكم بهم، وهذا المعنى غير حاصل في الطراف، العاشر: من المعلوم أن تطاير القصر إلى الهواء أدخل في التعجب من تطاير الخيمة، لأن القصر يكون مركبًا من اللبن والحجر والخشب.

وهذه الأجسام أدخل في الثقل والاكتناز من الخيمة المتخذة إما من الكرباس أو من الأديم،

والشيء كلما كان أثقل وأشد اكتنازًا كان تطايره في الهواء أبعد، فكانت النار التي تطير القصر إلى الهواء أقوى من النار التي تطير الطراف في الهواء، ومعلوم أن المقصود تعظيم أمر النار في الشدة والقوة، فكان التشبيه بالقصر أولى، الحادي عشر: وهو أن سقوط القصر على الإنسان أدخل في الإيلام والإيجاع من سقوط الطراف عليه، فتشبيه تلك الشرارات بالقصر يفيد أن تلك الشرارات إذا ارتفعت في الهواء ثم سقطت على الكافر فإنها تؤلمه إيلامًا شديدًا، فصار ذلك تنبيهًا على أنه لا يزال يسقط عليه من الهواء شرارات كالقصور بخلاف وقوع الطراف على الإنسان، فإنه لا يؤلم في الغاية، الثاني عشر: أن الجمال في أكثر الأمور تكون موقرة، فتشبيه الشرارات بالجمال تنبيه على أن مع كل واحد من تلك الشرارات أنواعًا من البلاء والمحنة لا يحصي عددها إلا الله، فكأنه قيل: تلك الشرارات كالجمالات الموقرة بأنواع المحنة والبلاء، وهذا المعنى غير حاصل في الطراف فكان التشبيه بالجمالات أتم.

واعلم أن هذه الوجوه توالت على الخاطر في اللحظة الواحدة ولو تضرعنا إلى الله تعالى في طلب الأزيد لأعطانا أي قدر شئنا بفضله ورحمته، ولكن هذه الوجوه كافية في بيان الترجيح والزيادة عليها تعد من الإطناب، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾﴾

نصب الأعمش (يَوْمَ) أي هذا الذي قص عليكم واقع يومئذ، اعلم أن هذا هو النوع السادس: من أنواع تخويف الكفار وتشديد الأمر عليهم، وذلك لأنه تعالى بيَّن أنه ليس لهم عذر ولا حجة فيما أتوا به من القبائح، ولا قدرة لهم على دفع العذاب عن أنفسهم، فيجتمع في حقه في هذا المقام أنواع من العذاب، أحدها: عذاب الخجالة، فإنه يفتضح على رءوس الأشهاد، ويظهر لكل قصوره وتقصيره وكل من له عقل سليم، علم أن عذاب الخجالة أشد من القتل بالسيف والاحتراق بالنار، وثانيها: وقوف العبد الآبق على باب المولى ووقوعه في يده مع علمه بأنه الصادق الذي يستحيل الكذب عليه، على ما قال: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ [ق: ٢٩] وثالثها: أنه يرى في ذلك الموقف خصماءه الذين كان يستخف بهم ويستحقرهم فائزين بالثواب والتعظيم، ويرى نفسه فائزًا بالخزي والنكال، وهذه ثلاثة أنواع من العذاب الروحاني، ورابعها: العذاب الجسماني وهو مشاهدة النار وأهوالها نعوذ بالله منها فلما اجتمعت في حقه هذه الوجوه من العذاب بل ما هو مما لا يصف كنهه إلا الله، لا جرم قال تعالى في حقهم: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ وفي الآية سؤالان:

الأول: كيف يمكن الجمع بين قوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣١] وقوله: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] وقوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ

حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]ويروى أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس عن هذا السؤال، والجواب عنه من وجوه أحدها: قال الحسن: فيه إضمار، والتقدير: هذا يوم لا ينطقون فيه بحجة، ولا يؤذن لهم فيعتذرون، لأنه ليس لهم فيما عملوه عذر صحيح وجواب مستقيم، فإذا لم ينطقوا بحجة سليمة وكلام مستقيم فكأنهم لم ينطقوا، لأن من نطق بما لا يفيد فكأنه لم ينطق، ونظيره ما يقال لمن ذكر كلامًا غير مفيد: ما قلت شيئًا، وثانيها: قال الفراء: أراد بقوله: ﴿يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ تلك الساعة وذلك القدر من الوقت الذي لا ينطقون فيه، كما يقول: آتيك يوم يقدم فلان، والمعنى ساعة يقدم وليس المراد باليوم كله، لأن القدوم إنما يكون في ساعة يسيرة، ولا يمتد في كل اليوم، وثالثها: أن قوله: ﴿لَا يَنطِقُونَ﴾ لفظ مطلق، والمطلق لا يفيد العموم لا في الأنواع ولا في الأوقات، بدليل أنك تقول: فلان لا ينطق بالشر ولكنه ينطق بالخير، وتارة تقول: فلان لا ينطق بشيء ألبتة، وهذا يدل على أن مفهوم لا ينطق قدر مشترك بين أن لا ينطق ببعض الأشياء، وبين أن لا ينطق بكل الأشياء، وكذلك تقول: فلان لا ينطق في هذه الساعة، وتقول: فلان لا ينطق ألبتة، وهذا يدل على أن مفهوم لا ينطق مشترك بين الدائم والموقت، وإذا كان كذلك فمفهوم لا ينطق يكفي في صدقه عدم النطق ببعض الأشياء وفي بعض الأوقات، وذلك لا ينافي حصول النطق بشيء آخر في وقت آخر، فيكفي في صدق قوله: ﴿لَا يَنطِقُونَ﴾ أنهم لا ينطقون بعذر وعلة في وقت السؤال، وهذا الذي ذكرناه إشارة إلى صحة الجوابين الأولين بحسب النظر العقلي، فإن قيل: لو حلف لا ينطق في هذا اليوم، فنطق في جزء من أجزاء اليوم يحنث؟ قلنا: مبني الأيمان على العرف، والذي ذكرناه بحث عن مفهوم اللفظ من حيث إنه هو، ورابعها: أن هذه الآية وردت عقيب قول خزنة جهنم لهم ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾ [المرسلات: ٣٠]فينقادون ويذهبون، فكأنه قيل: إنهم كانوا يؤمرون في الدنيا بالطاعات فما كانوا يلتفتون.

أما في هذه الساعة فقد صاروا منقادين مطيعين في مثل هذا التكليف الذي هو أشق من كل شيء، تنبيهًا على أنهم لو تركوا الخصومة في الدنيا لما احتاجوا في هذا الوقت إلى هذا الانقياد الشاق، والحاصل أن قوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ متقيد بهذا الوقت في هذا العمل، وتقييد المطلق بسبب مقدمة الكلام مشهور في العرف، بدليل أن المرأة إذا قالت: أخرج هذه الساعة من الدار، فقال الزوج: لو خرجت فأنت طالق، فإنه يتقيد هذا المطلق بتلك الخرجة، فكذا هاهنا.

السؤال الثاني: قوله: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ يوهم أن لهم عذرًا وقد منعوا من ذكره، وهذا لا يليق بالحكيم، والجواب: أنه ليس لهم في الحقيقة عذر ولكن ربما تخيلوا خيالاً فاسدًا أن لهم فيه عذرًا، فهم لا يؤذن لهم في ذلك ذكر العذر الفاسد، ولعل ذلك العذر الفاسد هو أن يقول: لما كان الكل بقضائك وعلمك ومشيئتك وخلقك فلم تعذبني عليه، فإن هذا عذر فاسد إذ ليس لأحد أن يمنع المالك عن التصرف في ملكه كيف شاء وأراد، فإن قيل: أليس أنه قال: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم

بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ [طه: ١٣٤] والمقصود من كل ذلك أن لا يبقى في قلبه، أن له عذرًا، فهب أن عذره في موقف القيامة فاسد فلم لا يؤذن له في ذكره حتى يذكره، ثم يبين له فساده؟ قلنا: لما تقدم الإعذار والإنذار في الدنيا بدليل قوله: ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ [المرسلات: ٥-٦] كان إعادتها غير مفيدة.

السؤال الثالث: لِمَ لم يقل: ولا يؤذن لهم فيعتذروا؟ كما قال: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ﴾ [فاطر: ٣٦] الجواب: الفاء هاهنا للنسق فقط، ولا يفيد كونه جزاء ألبتة ومثله ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ﴾ [البقرة: ٢٤٥] بالرفع والنصب، وإنما رفع يعتذرون بالعطف لأنه لو نصب لكان ذلك يوهم أنهم ما يعتذرون لأنهم لم يؤذنوا في الاعتذار، وذلك يوهم أن لهم فيه عذرًا منعوا عن ذكره وهو غير جائز.

أما لما رفع كان المعنى أنهم لم يؤذنوا في العذر وهم أيضًا لم يعتذروا لا لأجل عدم الإذن بل لأجل عدم العذر في نفسه، ثم إن فيه فائدة أخرى وهي حصول الموافقة في رءوس الآيات لأن الآيات بالواو والنون، ولو قيل: فيعتذروا لم تتوافق الآيات، ألا ترى أنه قال في سورة اقتربت الساعة: ﴿إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾ [القمر: ٦] فثقل لأن آياتها مثقلة، وقال في موضع آخر: ﴿وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ [الطلاق: ٨] وأجمع القراء على تثقيل الأول وتخفيف الثاني ليوافق كل منهما ما قبله.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٨ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ۝٣٩ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٤٠ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ۝٤١ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝٤٢ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٤٣ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٤٤ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٤٥﴾

اعلم أن هذا هو النوع السابع: من أنواع تهديد الكفار، وهذا القسم من باب التعذيب بالتقريع والتخجيل، فأما قوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ فاعلم أن ذلك اليوم يقع فيه نوعان من الحكومة أحدهما: ما بين العبد والرب وفي هذا القسم كل ما يتعلق بالرب فلا حاجة فيه إلى الفصل وهو ما يتعلق بالثواب الذي يستحقه المرء على عمله وكذا في العقاب إنما يحتاج إلى الفصل فيما يتعلق بجانب العبد وهو أن تقرر عليهم أعمالهم التي عملوها حتى يعترفوا.

والقسم الثاني: ما يكون بين العباد بعضهم مع بعض، فإن هذا يدعى على ذاك أنه ظلمني وذاك يدعى على هذا أنه قتلني فهاهنا لا بد فيه من الفصل وقوله: ﴿جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ﴾ كلام موضح لقوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ لأنه لما كان هذا اليوم يوم فصل حكومات جميع المكلفين فلا بد من إحضار جميع المكلفين لا سيما عند من لا يُجَوِّز القضاء على الغائب، ثم قال: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ يشير به إلى أنهم كانوا يدفعون الحقوق عن أنفسهم بضروب الحيل والكيد فكأنه قال: فهاهنا إن أمكنكم أن تفعلوا مثل تلك الأفعال المنكرة من الكيد والمكر والخداع والتلبيس فافعلوا، وهذا كقوله تعالى: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣] ثم إنهم يعلمون أن الحيل

منقطعة والتلبيسات غير ممكنة، فخطاب الله تعالى لهم في هذه الحالة بقوله: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ نهاية في التخجيل والتقريع، وهذا من جنس العذاب الروحاني، فلهذا قال عقيبه: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

اعلم أن هذا هو النوع الثامن: من أنواع تهديد الكفار وتعذيبهم، وذلك لأن الخصومة الشديدة والنفرة العظيمة كانت في الدنيا قائمة بين الكفار والمؤمنين، فصارت تلك النفرة بحيث إن الموت كان أسهل على الكافر من أن يرى للمؤمن دولة وقوة، فلما بين الله تعالى في هذه السورة اجتماع أنواع العذاب والخزي والنكال على الكفار، بين في هذه الآية اجتماع أنواع السعادة والكرامة في حق المؤمن، حتى إن الكافر حال ما يرى نفسه في غاية الذل والهوان والخزي والخسران، ويرى خصمه في نهاية العز والكرامة والرفعة والمنقبة، تتضاعف حسرته وتتزايد غمومه وهمومه، وهذا أيضًا من جنس العذاب الروحاني، فلهذا قال في هذه الآية: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: قال مقاتل والكلبي: المراد من قوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ الذين يتقون الشرك بالله، وأقول هذا القول عندي هو الصحيح الذي لا معدل عنه، ويدل عليه وجوه أحدها: أن المتقي عن الشرك يصدق عليه أنه متق، لأن المتقي عن الشرك ماهية مركبة من قيدين: أحدهما: أنه متق، والثاني: خصوص كونه عن الشرك، ومتى وجد المركب، فقد وجد كل واحد من مفرداته لا محالة، فثبت أن كل من صدق عليه أنه متق عن الشرك، فقد صدق عليه أنه متق أقصى ما في الباب أن يقال: هذه الآية على هذا التقدير تتناول كل من كان متقيًا لأي شيء كان، إلا أنا نقول كونه كذلك لا يقدح فيما قلناه، لأنه خص كل من لم يكن متقيًا عن جميع أنواع الكفر فيبقى فيما عداه حجة لأن العام الذي دخل التخصيص يبقى حجة فيما عداه، وثانيها: أن هذه السورة من أولها إلى آخرها مرتبة في تقريع الكفار على كفرهم وتخويفهم عليه، فهذه الآية يجب أن تكون مذكورة لهذا الغرض، وإلا لتفككت السورة في نظمها وترتيبها، والنظم إنما يبقى لو كان هذا الوعد حاصلاً للمؤمنين بسبب إيمانهم، لأنه لما تقدم وعيد الكافر بسبب كفره، وجب أن يقرن ذلك بوعد المؤمن بسبب إيمانه حتى يصير ذلك سببًا في الزجر عن الكفر، فأما أن يقرن به وعد المؤمن بسبب طاعته، فذلك غير لائق بهذا النظم والترتيب، فثبت بما ذكرنا أن المراد من قوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ كل من كان متقيًا عن الشرك والكفر، وثالثها: أن حمل اللفظ على المسمى الكامل أولى، وأكمل أنواع التقوى هو التقوى عن الكفر والشرك، فكان حمل اللفظ عليه أولى.

المسألة الثانية: أنه تعالى لما بعث الكفار إلى ظل ذي ثلاث شعب أعد في مقابلته للمؤمنين

ثلاثة أنواع من النعمة: أولها: قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ﴾ كأنه قيل: ظلالهم ما كانت ظليلة، وما كانت مغنية عن اللهب والعطش أما المتقون فظلالهم ظليلة، وفيها عيون عذبة مغنية لهم عن العطش وحاجزة بينهم وبين اللهب ومعهم الفواكه التي يشتهونها ويتمنونها، ولما قال للكفار: ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾ [المرسلات: ٣٠] قال للمتقين: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا﴾ فإما أن يكون ذلك الإذن من جهة الله تعالى لا بواسطة، وما أعظمها، أو من جهة الملائكة على وجه الإكرام، ومعنى ﴿هَنِيٓـًٔا﴾ أي خالص اللذة لا يشوبه سقم ولا تنغيص.

المسألة الثالثة: اختلف العلماء في أن قوله: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ أمر أو إذن قال أبو هاشم: هو أمر، وأراد الله منهم الأكل والشرب، لأن سرورهم يعظم بذلك، وإذا علموا أن الله أراده منهم جزاء على عملهم فكما يزيد إجلالهم وإعظامهم بذلك، فكذلك يريد نفس الأكل والشرب معهم، وقال أبو علي: ذلك ليس بأمر، وإنما يريد بقوله: على وجه الإكرام، لأن الأمر والنهي إنما يحصلان في زمان التكليف، وليس هذا صفة الآخرة.

المسألة الرابعة: تمسك من قال العمل يوجب الثواب بالباء في قوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وهذا ضعيف لأن الباء للإضافة، ولما جعل الله تعالى ذلك العمل علامة لهذا الثواب كان الإتيان بذلك العمل كالآلة الموصلة إلى تحصيل ذلك الثواب، وقوله: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ المقصود منه أن يذكر الكفار ما فاتهم من النعم العظيمة، ليعلموا أنهم لو كانوا من المتقين المحسنين لفازوا بمثل تلك الخيرات، وإذا لم يفعلوا ذلك لا جرم وقعوا فيما وقعوا فيه.

قوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾

اعلم أن هذا هو النوع التاسع: من أنواع تخويف الكفار، كأنه تعالى يقول للكافر حال كونه في الدنيا إنك إنما عرضت نفسك لهذه الآفات التي وصفناها ولهذه المحن التي شرحناها لأجل حبك للدنيا ورغبتك في طيباتها وشهواتها إلا أن هذه الطيبات قليلة بالنسبة إلى تلك الآفات العظيمة والمشتغل بتحصيلها يجري مجرى لقمة واحدة من الحلواء، وفيها السم المهلك فإنه يقال لمن يريد أكلها ولا يتركها بسبب نصيحة الناصحين وتذكير المذكرين: كل هذا وويل لك منه بعد هذا فإنك من الهالكين بسببه، وهذا وإن كان في اللفظ أمرًا إلا أنه في المعنى نهي بليغ وزجر عظيم ومنع في غاية المبالغة.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

اعلم أن هذا هو النوع العاشر: من أنواع تخويف الكفار كأنه قيل لهم: هب أنكم تحبون الدنيا ولذاتها ولكن لا تعرضوا بالكلية عن خدمة خالقكم بل تواضعوا له فإنكم إن آمنتم ثم ضممتم إليه طلب اللذات وأنواع المعاصي حصل لكم رجاء الخلاص عن عذاب جهنم والفوز بالثواب، كما

قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] ثم إن هؤلاء الكفار لا يفعلوا ذلك ولا ينقادون لطاعته، ويبقون مصرين على جهلهم وكفرهم وتعريضهم أنفسهم للعقاب العظيم، فلهذا قال: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي الويل لمن يكذب هؤلاء الأنبياء الذين يرشدونهم إلى هذه المصالح الجامعة بين خيرات الدنيا والآخرة وهاهنا مسائل:

المسألة الأولى: قال ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ﴾ المراد به الصلاة، وهذا ظاهر لأن الركوع من أركانها، فبين تعالى أن هؤلاء الكفار من صفتهم أنهم إذا دعوا إلى الصلاة لا يصلون، وهذا يدل على أن الكفار مخاطبون بفروع الشرائع، وأنهم حال كفرهم كما يستحقون الذم والعقاب بترك الإيمان، فكذلك يستحقون الذم والعقاب بترك الصلاة لأن الله تعالى ذمهم حال كفرهم على ترك الصلاة، وقال قوم آخرون: المراد بالركوع الخضوع والخشوع لله تعالى، وأن لا يعبد سواه.

المسألة الثانية: القائلون بأن الأمر للوجوب استدلوا بهذه الآية، لأنه تعالى ذمهم بمجرد ترك المأمور به، وهذا يدل على أن مجرد الأمر للوجوب، فإن قيل: إنهم كفار فلكفرهم ذمهم؟ قلنا: إنه تعالى ذمهم على كفرهم من وجوه كثيرة، إلا أنه تعالى إنما ذمهم في هذه الآية لأنهم تركوا المأمور به، فعلمنا أن ترك المأمور به غير جائز.

قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ۝٥٠﴾

اعلم أنه تعالى لما بالغ في زجر الكفار من أول هذه السورة إلى آخرها بالوجوه العشرة التي شرحناها، وحث على التمسك بالنظر والاستدلال والانقياد للدين الحق ختم السورة بالتعجب من الكفار، وبيّن أنهم إذا لم يؤمنوا بهذه الدلائل اللطيفة مع تجليها ووضوحها فبأي حديث بعده يؤمنون قال القاضي: هذه الآية تدل على أن القرآن محدث لأنه تعالى وصفه بأنه حديث، والحديث ضد القديم والضدان لا يجتمعان، فإذا كان حديثًا وجب أن لا يكون قديمًا، وأجاب الأصحاب أن المراد منه هذه الألفاظ ولا نزاع في أنها محدثة، والله تعالى أعلم.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين.

سورة المرسلات

مكّيَّةٌ في قول الحسن وعِكرمة وعطاء وجابر. وقال ابن عباس وقتادة: إلا آية منها، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ﴾ [الآية:٤٨] مدنيّة[(١)].

وقال ابن مسعود: نزلت ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ على النبيِّ ﷺ ليلةَ الجنِّ ونحن معه نسير، حتى أوينا إلى غار بمنىً فنزلت، فبينا نحن نتلقَّاها منه، وإنَّ فاه لَرَطْبٌ بها إذ وَثَبَت حيَّةٌ، فوثبنا عليها لنقتلَها فذهبت، فقال النبيُّ ﷺ: «وُقيتم شرَّها كما وُقِيَتْ شرَّكم»[(٢)].

وعن كُريب مولى ابن عباس قال: قرأت سورة: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾، فسمعَتني أُمُّ الفضل امرأةُ العباسِ، فبكت وقالت: واللهِ يا بنيَّ لقد ذكَّرتَني[(٣)] بقراءتك هذه السُّورةَ، إنها لآخِرُ ما سمعتُ رسول الله ﷺ يقرأُ بها في صلاة المغرب[(٤)]. والله أعلم.

وهي خمسون آية[(٥)].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ جمهور المفسرين على أن المرسلات الرِّياحُ.

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١٧٥ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣٥٧٤)، والبخاري (١٨٣٠)، ومسلم (٢٢٣٤).

(٣) في (ز) و(ظ) و(م) و(ي): أذْكَرْتَني . والمثبت من (د) ومصادر التخريج الآتية الذكر.

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٢٦٨٨٤)، والبخاري (٧٦٣)، ومسلم (٤٦٢).

(٥) تفسير أبي الليث ٣/ ٤٣٤ .

وروى مسروق عن عبد الله قال: هي الملائكة أُرسلت بالمعروف من أمر الله تعالى ونهيه والخبرِ والوحي. وهو قول أبي هريرة ومقاتل وأبي صالح والكلبيِّ[(١)]. وقيل: هم الأنبياء أُرسلوا بلا إله إلا الله؛ قاله ابن عباس. وقال أبو صالح: إنهم الرسل تُرْسَل بما يُعْرَفون به من المعجزات[(٢)]. وعن ابن عباس وابن مسعود: إنها الرياح[(٣)]؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ﴾ [الحجر: ٢٢] وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾ [الأعراف: ٥٧].

ومعنى «عُرْفاً»: يتبع بعضُها بعضاً كعُرْفِ الفَرَس؛ تقول العرب: الناس إلى فلان عُرْفٌ واحد: إذا توجهوا إليه فأكثروا[(٤)]. وهو نصب على الحال من «والْمُرْسَلَاتِ» أي: والرياح التي أرسلت متتابعةً. ويجوز أن تكون مصدراً، أي: تِباعاً. ويجوز أن يكون النصب على تقدير حرف[(٥)] الجر، كأنه قال: والمرسلات بالعُرْف، والمراد الملائكة أو الملائكة والرسل[(٦)]. وقيل: يحتمل أن يكون المراد بالمرسلات السحاب، لما فيها من نعمة ونقمة، عارفة بما أرسلت فيه ومن أُرسلت إليه. وقيل: إنها الزواجر والمواعظ. و«عُرْفاً» على هذا التأويل متتابعات كعرف الفرس؛ قاله ابن مسعود. وقيل: جاريات؛ قاله الحسن؛ يعني في القلوب. وقيل:

---

(١) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٨٢ عن ابن مسعود وأبي صالح، وأخرجه الحاكم ٢/ ٥١١ عن أبي هريرة ﷺ، وذكره أبو الليث السمرقندي ٣/ ٤٣٤ عن مقاتل والكلبي، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٦ عن أبي صالح مختصراً.

(٢) النكت والعيون ٦/ ١٧٥ ، وزاد المسير ٨/ ٤٤٥ .

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤١٦ ، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٥٨٠ .

(٤) كذا في (د) و(م) وتفسير الطبري ٢٣/ ٥٨٢ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٣٢ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٦ ، ووقع في (ظ): سار الناس إلى فلان عُرفاً واحداً، وهو بنحوه في معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٢١ ، وزاد المسير ٨/ ٤٤٤ .

(٥) في (ظ): حذف.

(٦) الكلام بنحوه في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٩١ ، وإملاء ما من به الرحمن ٤/ ٤٤١-٤٤٢ ، والرازي ٣٠/ ٢٦٤ .

معروفات في العقول[١].

﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا﴾: الرياح بغير اختلاف، قاله المهدويُّ. وعن ابن مسعود: هي الرياح العواصف[٢] تأتي بالعصف، وهو ورق الزرع وحُطَامُه، كما قال تعالى: ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا﴾ [الإسراء: ٦٩]. وقيل: العاصفات الملائكةُ الموكَّلون بالرياح يَعصِفون بها. وقيل: الملائكة تعصف بروح الكافر[٣]، يقال: عصف بالشيء أي: أباده وأهلكه، وناقة عَصُوف أي: تعصف براكبها، فتمضي كأنها ريح في السرعة، وعصفت الحرب بالقوم أي: ذهبت بهم[٤]. وقيل: يحتمل أنها الآيات المُهْلِكة؛ كالزلازل والخسوف[٥].

﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا﴾: الملائكة الموكَّلون بالسُّحُب يَنْشُرونها. وقال ابن مسعود ومجاهد: هي الرياحُ يرسلها اللهُ تعالى نشراً بين يدي رحمته[٦]، أي: تنشر السحاب للغيث. وروي ذلك عن أبي صالح. وعنه أيضاً: الأمطار، لأنها تنشر النبات[٧]، فالنشر بمعنى الإحياء، يقال: نشر اللهُ الميِّت وأنشره، أي: أحياه[٨]. وروى عنه السديُّ: أنها الملائكة تنشر كتبَ اللهِ عزَّ وجلَّ[٩]. وروى الضحاك عن ابن عباس قال: يريد ما ينشر من الكتب وأعمال بني آدم. الضحاك: إنها الصحف تُنْشَر على الله بأعمال العباد. وقال الربيع: إنه البعث للقيامة تنشر فيه الأرواح[١٠]. قال:

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١٧٥-١٧٦ .

(٢) النكت والعيون ٦/ ١٧٦ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٦٥ ، ونقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤٤٥ .

(٤) تفسير الرازي ٣٠/ ٢٦٤ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ١٧٦ .

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٤١٧ بنحوه .

(٧) النكت والعيون ٦/ ١٧٦ ، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٥٨٦-٥٨٧ بنحوه.

(٨) الكلام بنحوه في الصحاح (نشر).

(٩) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٨٧.

(١٠) النكت والعيون ٦/ ١٧٦ ، وزاد المسير ٨/ ٤٤٥ .

«وَالنَّاشِرَاتِ» بالواو، لأنه استئناف قسم آخر.

﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا﴾: الملائكة تنزل بالفَرْق بين الحقِّ والباطل، قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وأبو صالح[١]. وروى الضحاك عن ابن عباس قال: ما تفرِّق الملائكة من الأقوات والأرزاق والآجال. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: الفارقات الرياح تفرق بين السحاب وتبدِّده[٢]. وعن سعيد عن قتادة قال: «الْفَارِقاتِ فَرْقاً»: الفرقان، فَرَّق الله فيه بين الحقِّ والباطل والحرام والحلال. وقاله الحسن وابن كيسان[٣].

وقيل: يعني الرسل[٤] فَرَقوا بين ما أمر الله به ونهى عنه، أي: بَيَّنوا ذلك. وقيل: السحابات الماطرة تشبيهاً بالناقة الفارق، وهي الحامل التي تخرج وتَنِدُّ في الأرض حين تضع، ونوق فَوارِقُ وفُرَّق. [وربما] شَبَّهوا السحابةَ التي تنفرد من السَّحاب بهذه الناقة[٥]، قال ذو الرمَّة:

أَوْ مُـزْنَـةٌ فـارِقٌ يَـجْـلـو غَـوارِبَـهَـا تَـبَـوُّجُ الْـبَـرْقِ والـظَّـلْـمَـاءُ عُـلْـجُـومُ[٦]

﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾: الملائكة بإجماع، أي: تلقي كتب الله عزَّ وجلَّ إلى الأنبياء عليهم السلام، قاله المهدوي[٧]. وقيل: هو جبريل. وسمي باسم الجمع؛ لأنه كان

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤١٧ ، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٥٨٧-٥٨٨ عن ابن عباس وأبي صالح.

(٢) زاد المسير ٨/ ٤٤٦ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١١٢ ، وزاد المسير ٨/ ٤٤٦ ، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٥٨٨ عن سعيد عن قتادة.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤١٧ .

(٥) الصحاح (فرق) وما بين حاصرتين منه. وجاءت في النسخ الخطية: فشبهوا.

(٦) البيت في شرح ديوان ذي الرُّمة ١/ ٣٩٣-٣٩٤ . قوله مزنة فارق، أي: سحابة منفردة. ويجلو غواربَها، أي: يكشف أعاليها. وتبوّج البرق، أي: تكشُّفه وتفتُّحه. وعلجوم: شديد السَّواد.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٤١٧ بنحوه، وزاد المسير ٨/ ٤٤٦ دون نسبة .

ينزل بها[١]. وقيل: المراد الرسل يُلقون إلى أممهم ما أنزل الله عليهم، قاله قُطْرب[٢]. وقرأ ابن عباس: «فَالملقَّيات» بالتشديد مع فتح القاف[٣]، وهو كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النمل:٦].

﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾: أي: تلقي الوحي إعذاراً من الله، أو إنذاراً إلى خلقه من عذابه، قاله الفراء[٤]. وروي عن أبي صالح قال: يعني الرسل يُعذِرون ويُنذِرون. وروى سعيد عن قتادة: «عُذْراً» قال: عذراً لله جلَّ ثناؤه إلى خلقه، ونُذْراً للمؤمنين ينتفعون به ويأخذون به. وروى الضحاك عن ابن عباس: «عُذْراً» أي: ما يلقيه الله، جلَّ ثناؤه من معاذير أوليائه وهي التوبة، «أَوْنُذْراً»: يُنذر أعداءه.

وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وحفص: «أَوْنُذْراً» بإسكان الذال، وجميع السبعة على إسكان ذال«عُذْراً» سوى ما رواه الجُعْفيُّ والأعشى عن أبي بكر عن عاصم أنه ضم الذال[٥]. وروي ذلك عن ابن عباس والحسن وغيرهما. وقرأ إبراهيم التَّيمي وقتادة: «عُذْراً وَنُذْراً» بالواو العاطفة، ولم يجعلا بينهما ألفاً[٦].

وهما منصوبان على المفعول له، أي: للإعذار أو للإنذار. وقيل: على المفعول به؛ قيل: على البدل من «ذِكْراً» أي: فالملقيات عذراً أو نذراً[٧].

وقال أبو علي[٨]: يجوز أن يكون العذُر والنذُر بالتثقيل على جمع عاذر وناذر،

---

(١) تفسير الرازي ٣٠/ ٢٦٥ بنحوه.

(٢) النكت والعيون ٦/ ١٧٧ ، وزاد المسير ٨/ ٤٤٦ .

(٣) القراءات الشاذة ص١٦٧ ، والمحتسب ٢/ ٣٤٥ .

(٤) في معاني القرآن ٣/ ٢٢٢ ، ونقله ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤٤٦ بنحوه .

(٥) السبعة ص٦٦٦ ، والتيسيرص٢١٨ ، والقراءة المشهورة عن عاصم من رواية شبعة كقراءة الجماعة: نُذْراً. وينظر جامع البيان في القراءات السبع ٢/ ٤٧٢ .

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٤١٧ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٠٥ .

(٧) الكلام بنحوه في معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٦٦ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٧ .

(٨) في الحجة ٦/ ٣٦٣ .

كقوله تعالى: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ [النجم:٥٦] فيكون نصباً على الحال من الإلقاء، أي: يُلقون الذكر في حال العذر والإنذار. أو يكون مفعولاً لـ «ذكراً» أي: «فَالْمُلْقِيات» أي: تُذَكِّر «عُذْراً أَوْنُذْراً».

وقال المبرِّد: هما بالتثقيل جمع الواحد: عَذير ونَذير.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ﴾ هذا جواب ما تقَّدم من القسم، أي: ما توعدون من أمر القيامة لوَاقع بكم ونازلٌ عليكم، ثم بيَّن وقت وقوعه فقال: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ أي: ذهب ضوؤها ومُحي نورُها كطمسِ الكتاب[1]؛ يقال: طَمَس الشيء: إذا دَرَسَ وطُمِس، فهو مطموس[2]، والريحُ تطمُس الآثارَ، فتكون الريح طامسةً، والأثر طامساً بمعنى مطموس.

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ﴾ أي: فُتِحت وشُقَّت[3]؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾[النبأ:١٩]. وروى الضحاك عن ابن عباس قال: فُرجت للطيِّ.

﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ أي: ذُهب بها كلِّها بسرعة؛ يقال: نَسَفْتُ الشيءَ وأنسفته: إذا أخذتَه كلَّه بسرعة[4]. وكان ابن عباس والكلبيُّ يقول: سُوِّيَت بالأرض[5]، والعرب تقول: فَرَسٌ نَسُوف: إذا كان يؤخِّر الحزام بمرفقيه[6]؛ قال بِشْر:

نَسُوفٌ للحِزَام بمرفقيها[7]

ونَسَفَت الناقةُ الكلأَ: إذا رعته. وقال المبرِّد: نُسِفت: قُلِعَت من موضعها؛ يقول

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١٧٧ .

(٢) ينظر الصحاح (طمس).

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٧٧ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٦٦ ، ونقله عن ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤٤٧ .

(٥) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٧٧ عن الكلبي.

(٦) الكلام بنحوه في الصحاح (نسف).

(٧) قائله هو بشر بن أبي خازم، والبيت في ديوانه ص١١١ ، وعجزه: يَسدُّ خَوَاءَ طُبْيَيْها الغبارُ.

الرجل للرجل يقتلع رجليه من الأرض: أَنْسَفت رجلاه. وقيل: النَّسْف: تفريقُ الأجزاء حتى تذروها الرياح. ومنه نسف الطعام؛ لأنه يُحرَّك حتى يُذهِب الريحُ بعضَ ما فيه من التِّبْن[1].

﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ أي: جمعت لوقتها ليوم القيامة، والوقت: الأجل الذي يكون عنده الشيء المؤخَّر إليه؛ فالمعنى: جعل لها وقت وأجَل للفصل والقضاء بينهم وبين الأمم[2]؛ كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ [المائدة: ١٠٩]. وقيل: هذا في الدنيا أي: جُمعت الرسل لميقاتها الذي ضُرب لها في إنزال العذاب بمن كذَّبهم بأن الكفَّار مُمْهَلون، وإنما تزول الشكوك يوم القيامة. والأوّل أحسن؛ لأن التوقيت معناه شيء يقع يوم القيامة، كالطمس ونسف الجبال وتشقيق السماء، ولا يليق به التأقيت قبل يوم القيامة.

قال أبو علي[3]: أي جعل يوم الدين والفصل لها وقتاً. وقيل: أُقِّتت: وُعِدت وأُجِّلت. وقيل: «أُقِّتَتْ» أي: أرسلت لأوقات معلومةٍ على ما علمه اللهُ وأراد.

والهمزة في «أُقِّتَتْ» بدلٌ من الواو؛ قاله الفراء والزجاج[4]. قال الفراء: وكلُّ واو ضُمَّت وكانت ضمتها لازمة جاز أن يبدل منها همزة[5]؛ تقول: صلَّى القوم أُحْداناً، تريد: وُحْداناً، ويقولون: هذه وُجُوه حسان [وأُجُوه][6]. وهذا لأن ضمة الواو ثقيلة. ولم يجز البدل في قوله: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧] لأن الضمة غير لازمة[7].

---

(١) في (د) التتن.

(٢) الكلام بنحوه في زاد المسير ٨/ ٤٤٧ .

(٣) في الحجة ٦/ ٣٦٤-٣٦٥ .

(٤) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٢٢ - ٢٢٣ ، وللزجاج ٥/ ٢٦٦ ، ونقله عنهما ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤٤٧ .

(٥) من قوله: وكل واو ضمت إلى هنا هو من قول الزجاج.

(٦) ما بين حاصرتين ليس في النسخ، وهي زيادة يقتضيها الكلام، وينظر الكامل للمبرد ١/ ٨١ .

(٧) تفسير الرازي ٣٠/ ٢٦٩ .

وقرأ أبو عمرو وحميد والحسن ونصر عن عاصم ومجاهد: «وُقِّتَتْ» بالواو وتشديد القاف على الأصل[١]. وقال أبو عمرو: وإنما يقرأ «أُقِّتَتْ» مَن قال في وُجُوه أجُوه. وقرأ أبو جعفر وشيبة والأعرج: «وُقِتَت» بالواو وتخفيف القاف[٢]. وهو فُعِلَت من الوقت، ومنه: ﴿كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء:١٠٣]. وعن الحسن أيضاً: «وُوقِتَتْ» بواوين، وهو فُوعِلت[٣] من الوقت أيضاً، مثل: عُوهِدت. ولو قلبت الواو في هاتين القراءتين ألفاً لجاز. وقرأ يحيى وأيوب وخالد بن إلياس وسلَام: «أُقِتَتْ» بالهمزة والتخفيف[٤]؛ لأنها مكتوبة في المصحف بالألف.

﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ أي: أُخِّرت، وهذا تعظيم لذلك اليوم، فهو استفهام على التعظيم[٥]. أي: ﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ﴾ أُجِّلَت. وروى سعيد عن قتادة قال: يفصل فيه بين الناس بأعمالهم إلى الجنة أو إلى النار[٦]. وفي الحديث: «إذا حُشِرَ الناسُ يوم القيامة قاموا أربعين عاماً على رؤوسهم الشمسُ، شاخصةً أبصارهم إلى السماء ينتظرون الفصل»[٧].

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ أتبع التعظيم تعظيماً؛ أي: وما علمُك بيوم الفصل[٨]؟

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: عذاب وخزي لمن كَذَّب بالله وبرسله وكتبه وبيوم الفصل، فهو وعيد. وكرَّره في هذه السورة عند كلِّ آية لمن كذب؛ لأنه قسمه بينهم

(١) قراءة أبي عمرو في السبعة ص٦٦٦، والتيسير ص٢١٨، وقراءة الحسن في المحتسب ٢/ ٣٤٥.
(٢) قراءة أبي جعفر في النشر ٢/ ٣٩٧ وهي من العشرة.
(٣) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١١٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٨، والبحر المحيط ٨/ ٤٠٥.
(٤) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١١٥، والبحر المحيط ٨/ ٤٠٥.
(٥) الكلام بنحوه في زاد المسير ٨/ ٤٤٧.
(٦) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٩٣.
(٧) سلف بنحوه ص١٧٨ من هذا الجزء عن عبد الله بن مسعود ﷺ، قال الحافظ ابن حجر في الفتح ١١/ ٤٤٨: وسنده حسن.
(٨) في (د) و(م): وما أعلمك مايوم الفصل. والمثبت من باقي النسخ الخطية، وهو الموافق لما في تفسير الرازي ٣٠/ ٢٧٠، والكلام منه.

على قدر تكذيبهم، فإن لكل مَكذِّب بشيء عذاباً سوى تكذيبه بشيء آخر، ورُبَّ شيء كَذَّب به هو أعظم جُرْماً من تكذيبه بغيره، لأنه أقبح في تكذيبه، وأعظم في الردِّ على الله، فإنما يقسم له من الويل على قدر ذلك، وعلى قدر وفاقه، وهو قوله: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ [النبأ:٢٦]. وروي عن النعمان بن بشير أنه قال: وَيْلٌ: وادٍ في جهنم فيه ألوان العذاب[١]. وقاله ابن عباس وغيره. قال ابن عباس: إذا خَبَتْ جهنمُ أُخذ من جمره فألقي عليها، فيأكل بعضُها بعضاً. وروي أيضاً عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «عُرضت عليَّ جهنم، فلم أرَ فيها وادياً أعظم من الويْل»[٢].

وروي أنه مَجْمَعُ ما يَسيل من قيحِ أهل النار وصديدِهم[٣]، وإنما يَسيل الشيء فيما سفل من الأرض وانفطَر، وقد علم العباد في الدنيا أن شرَّ المواضع في الدنيا ما استنقع فيها مياه الأدناس والأقذارِ والغُسالات من الجيف وماءِ الحمامات، فذكر أن ذلك الوادي مستنقعُ صديدِ أهل الكفر والشرك، ليعلم ذوو العقولِ أنه لاشيء أقذر منه قذارةً، ولاأنتن منه نَتْنا، ولا أشد منه مرارةً، ولاأشدّ سواداً منه، ثم وصفه رسولُ الله ﷺ بما تضمن من العذاب، وأنه أعظم وادٍ في جهنم، فذكره الله تعالى في وعيده في هذه السورة.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أخبر عن إهلاك الكفار من الأمم الماضين من لدن آدم إلى محمدٍ ﷺ[٤]. ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ﴾ أي: نُلحق الآخِرين بالأولين.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/٤١٨ وسلف الكلام فيه ٢/ ٢٢١.

(٢) لم نقف عليه

(٣) أخرجه سعيد بن منصور وابن المنذر عن ابن مسعود كما في الدر المنثور ٦/٣٠٣، وذكره الطبري ٢٣/٥٩٣.

(٤) الكلام بنحوه في تفسير الطبري ٢٣/ ٥٩٤.

﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: مثل ما فعلناه بمن تقدَّم نفعل بمشركي قريش، إما بالسيف وإما بالهلاك[١].

وقرأ العامة: «ثُمَّ نُتْبِعُهُم» بالرفع على الاستئناف[٢]، وقرأ الأعرج: «نُتْبِعْهُمْ» بالجزم[٣] عطفاً على «نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ» كما تقول: ألم تزرني ثم أكرمك. والمراد أنه أهلك قوماً بعد قومٍ على اختلاف أوقات المرسَلين. ثم استأنف بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾ يريد من يهلك فيما بعد. ويجوز أن يكون الإسكان تخفيفاً من «نُتْبِعُهُم» لتوالي الحركات[٤]. وروي عنه الإسكان للتخفيف. وفي قراءة ابن مسعود: «ثُمَّ سَنُتْبِعُهُمُ»[٥] والكاف من «كَذَٰلِكَ» في موضع نصب، أي: مثل ذلك الهلاك نفعله بكلِّ مشرك[٦]. ثم قيل: معناه التهويل لهلاكهم في الدنيا اعتباراً. وقيل: هو إخبار بعذابهم في الآخرة[٧].

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ أي: ضعيف حقير، وهو النطفة، وقد تقدَّم[٨]. وهذه الآية أصلٌ لمن قال: إن خلق الجنين إنما هو من ماء الرجل وحده. وقد مضى القول فيه[٩].

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١٧٨ .

(٢) الكشاف ٤/ ٢٠٣ .

(٣) القراءات الشاذة ص١٦٧ ، والمحتسب٢/ ٣٤٦ .

(٤) المحتسب ٢/ ٣٤٦ بنحوه.

(٥) الكشاف ٤/ ٢٠٣ ، وتفسير الرازي ٣٠/ ٢٧١ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٠٥ ، وجاء في معاني الفراء ٣/ ٢٢٣، وزاد المسير ٨/ ٤٤٧ : وستتبعهم.

(٦) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٦٧ بنحوه.

(٧) النكت والعيون ٦/ ١٧٨ .

(٨) ١٧/ ١٥ .

(٩) ١٩/ ٤١٣ ، وينظر ١٤/ ٣١٣ .

﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ أي: في مكان حَريزٍ وهو الرَّحم[١]. ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ قال مجاهد: إلى أن نصوِّره. وقيل: إلى وقت الولادة[٢]. ﴿فَقَدَرْنَا﴾ وقرأ نافع والكسائيُّ: «فَقَدَّرْنَا» بالتشديد، وخفَّف الباقون[٣]، وهما لغتان بمعنىً. قاله الكسائيُّ والفراء[٤] والقُتَبيُّ. قال القُتَبي[٥]: قَدَرْنا بمعنى قدَّرنا مشدَّدة: كما تقول: قَدَرْت كذا وقدَّرته، ومنه قول النبيِّ ﷺ في الهلال: «إذا غُمَّ عليكم فاقْدُرُوا له»[٦] أي: قدِّروا له المسيرَ والمنازل.

وقال محمد بن الجهم عن الفراء: «فَقَدَّرْنَا» قال: وذُكر تشديدها عن عليٍّ ﷺ وتخفيفها، قال: ولا يبعد أن يكون المعنى في التشديد والتخفيف واحداً؛ لأن العرب تقول: قَدَر عليه الموت وقَدَّر، قال الله تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ [الواقعة: ٦٠] قرئ بالتخفيف والتشديد، وقَدَر عليه رِزقه وقَدَّر. قال: واحتج الذين خفَّفوا فقالوا؛ لوكانت كذلك لكانت: فنعم المقدِّرون. قال الفراء: وتجمع العرب بين اللغتين، قال الله تعالى: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾[٧] [الطارق: ١٧] قال الأعشى[٨]:

وأنْكَرَتْني وما كان الذي نَكِرَتْ ... من الحوادثِ إلا الشَّيْبَ والصَّلَعَا

وروي عن عكرمة: «فَقَدَرْنَا» مخففة من القدرة، وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم والكسائيِّ لقوله: ﴿فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ ومن شدَّد فهو من التقدير، أي: فقدَّرنا الشقيَّ

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٤٣٥، و النكت والعيون ٦/ ١٧٨ بنحوه.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٤٣٣.

(٣) السبعة ص٦٦٦، والتيسير ص٢١٨.

(٤) في معاني القرآن له ٣/ ٢٢٣.

(٥) في تفسير غريب القرآن ص٥٠٦.

(٦) أخرجه الإمام أحمد(٤٤٨٨)، والبخاري (١٩٠٦)، ومسلم (١٠٨٠) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وسلف ٣/ ١٥٥.

(٧) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٢٣، ٢٢٤، ونقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤٤٨-٤٤٩ بنحوه.

(٨) في ديوانه ص١٥١، وسلف ١١/ ١٦٢-١٦٣

والسعيد، فنعم المقدِّرون. رواه ابن مسعود عن النبيِّ ﷺ[١]. وقيل: المعنى قدَّرنا قصيراً أو طويلاً. ونحوه عن ابن عباس: قدرنا ملَكنا. المهدوي: وهذا التفسير أشبه بقراءة التخفيف.

قلت: هو صحيح، فإن عكرمة هو الذي قرأ: «فَقَدَرْنا» مخفَّفاً قال: معناه: فملكْنا فنعم المالكون[٢]، فأفادت الكلمتان معنيين متغايرين، أي: قدَّرنا وقتَ الولادة وأحوالَ النطفةِ في التنقيل من حالة إلى حالة حتى صارت بشراً سويًّا، أو الشقيَّ والسعيد، أو الطويل والقصير[٣]، كلُّه على قراءة التشديد. وقيل: هما بمعنىً كما ذكرنا.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَـٰمِخَـٰتٍ وَأَسْقَيْنَـٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ أي: ضامَّة؛ تضمُّ الأحياءَ على ظهرها[٤] والأمواتَ في بطنها. وهذا يدل على وجوب مواراةِ الميت ودفنه، ودفن شعَرِه وسائر مايزيله عنه[٥]. وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «قُصُّوا أظافيركم[٦] وادفنوا قُلاَماتِكم». وقد مضى في«البقرة» بيانُه[٧]. يقال: كَفَتُّ الشيء أكْفِته: إذا

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/٤١٨-٤١٩ بنحوه.

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/٥٩٦ عن الضحاك.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ٤/٤٠٨ عن الكلبي بنحوه.

(٤) في(د) و(م) و(ي): ظهورها. والمثبت من (ز) (ظ)، وهو الموافق لما في المحرر الوجيز ٥/٤١٩ ، والكلام فيه بنحوه.

(٥) بنحوه في أحكام القرآن للكيا ٤/٤٢٨ ، ولابن العربي ٤/١٨٨٨ .

(٦) في (ظ)و(م) أظافركم. والمثبت من (د) ونوادر الأصول ص٤٥ .

(٧) ذكره الحكيم الترمذي في نوادره ص٤٥ ، من حديث عبدالله بن بسر المازني ﷺ مرفوعاً والخبر ضعيف جداً، وسلف ٢/٣٥٨ - ٣٥٩، وينظر فتح الباري١٠/٣٣٨ .

جمعتَه وضممتَه، والكَفْت: الضمُّ والجمع(١)، وأنشد سيبويه.

كِرامٌ حينَ تَنْكَفِتُ الأفَاعي إلى أحْجارهنَّ من الصَّقِيعِ(٢)

وقال أبو عبيدة(٣): «كِفَاتاً»: أوعية. ويقال للنِّحْي(٤): كِفْت وكَفِيت؛ لأنه يحوي اللبن ويضمه قال:

فأنت اليومَ فوقَ الأرضِ حَيًّا وأنت غداً تَضُمُّك(٥) في كِفَاتِ

وخرج الشَّعبيُّ في جنازة، فنظر إلى الجَبَّان فقال: هذه كِفات الأموات، ثم نظر إلى البيوت فقال: هذه كِفات الأحياء(٦).

و[الثانية]: روي عن ربيعة في النَّبَّاش قال: تقطَع يده، فقيل له: لِم قلت ذلك؟ قال: إن الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا . أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ فالأرض حِرْزٌ(٧). وقد مضى هذا في سورة المائدة(٨). وكانوا يسمُّون بَقِيع الغَرْقد كَفْتَةً؛ لأنه مقبرة تضم الموتى(٩)، فالأرض تضم الأحياءَ إلى منازلهم والأموات في قبورهم. وأيضاً استقرار الناس على وجه الأرض، ثم اضطجاعهم عليها، انضمامٌ منهم إليها. وقيل: هي كِفاتٌ للأحياء يعني دفن ما يخرج من الإنسان من الفضلات في الأرض؛ إذ لا ضَمَّ

(١) الوسيط ٤/٤٠٨ بنحوه.

(٢) الكتاب ٣/ ٥٧٧، والبيت لابن مقبل، وهو في ديوانه ص١٦٥ وروايته: مَقَارٍ، بدل: كرام. ومعناه كما قال شارحه: إن هؤلاء الناس يَقْرُون الضيوف في زمن الشدة حين يعزُّ الطعام.

(٣) في (د) و(ز) و(م): أبو عبيد، والمثبت من (ظ) و(ي)، والكلام في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١٩٥.

(٤) النِّحْيُ: جَرَّة فخار يُجعل فيها لبنٌ ليُمخض. القاموس (نحى).

(٥) في النسخ الخطية: تُضَمَّنُ، والمثبت من (م) والنكت والعيون ٦/ ١٧٩، ونسبه الماوردي فيه للصمصامة بن الطِّرِمَّاح.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٤١٩، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٥٩٧ بنحوه.

(٧) ذكره الرازي في تفسيره ٣٠/ ٢٧٤ عنه، و الزمخشري في الكشاف ٤/ ٢٠٤ عن بعض أصحاب الشافعي.

(٨) ٧/ ٤٥٦.

(٩) تفسير غريب القرآن ص٥٠٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٩.

في كون الناس عليها، والضَّمّ يشير إلى الاحتفاف من جميع الوجوه[١]. وقال الأخفش وأبو عبيدة ومجاهد في أحد قوليه: الأحياء والأموات ترجع إلى الأرض، أي: الأرض منقسمة إلى حيٍّ، وهو الذي ينبت، وإلى ميتٍ، وهو الذي لاينبت[٢]. وقال الفراء[٣]: انتصب «أَحْيَاءً وَ أَمْوَاتاً» بوقوعِ الكِفات عليه، أي: ألم نجعل الأرضَ كِفاتَ أحياءٍ وأمواتٍ. فإذا نوّنت نصبت، كقوله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا﴾ [البلد: ١٤-١٥].

وقيل: نصب على الحال من الأرض[٤]، أي: منها كذا ومنها كذا. وقال الأخفش: «كِفَاتاً» جمع كافتة، والأرض يراد بها الجمع، فنعتت بالجمع.

وقال الخليل: التكفيت: تقليب الشيء ظهراً لبطن أو بطناً لظهر. ويقال: انكفت القومُ إلى منازلهم، أي: انقلبوا[٥]. فمعنى الكفات أنهم يتصرفون على ظهرها، وينقلبون إليها، ويدفنون فيها.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ أي: في الأرض ﴿رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ﴾ يعني الجبال، والرواسي الثوابت، والشامخات الطوال، ومنه يقال: شمخ بأنفه: إذا رَفَعه كِبْراً[٦].

﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾ أي: وجعلنا لكم سُقْياً. والفُرَات: الماء العذب يُشرب ويُسقى منه الزرع. أي: خلقنا الجبال وأنزلنا الماء الفرات. وهذه الأمور أعجبُ من البعث[٧]. وفي بعض الحديث قال أبو هريرة: في الأرض من الجنة الفُرَاتُ

---

(١) الكلام بنحوه في تفسير الرازي ٣٠/ ٢٧٤ .

(٢) الكلام بنحوه في مجاز القرآن ٢/ ٢٨١ ، وتفسير مجاهد ٢/ ٧١٦ ، ونقله عنهما ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤٤٩ ، وعن مجاهد نقله الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٧٩ ، وعن الأخفش نقله أبو الليث السمرقندي ٣/ ٤٣٦ .

(٣) في معاني القرآن ٣/ ٢٢٤ ، ونقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤٤٩.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١١٨ ، والكشاف ٤/ ٢٠٤

(٥) العين ٥/ ٣٤١ .

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٤١٩ بنحوه، وينظر مجمع البيان للطبرسي ٢٩/ ١٥٩ .

(٧) ذكره البغوي في تفسيره ٤/ ٤٣٤ من قول مقاتل.

والدِّجلة[١] ونهرُ الأردن. وفي صحيح مسلم[٢]: سَيحان وَجَيْحان والنيل والفُرات كلٌّ من أنهار الجنة.

قوله تعالى: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾أي: يقال للكفار: سيروا «إِلَى مَا كُنْتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ» من العذاب، يعني النار، فقد شاهدتموها عِياناً. ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ﴾ أي: دخان ﴿ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾ يعني الدخان الذي يَرتفع ثم يتشعب إلى ثلاث شُعب. وكذلك شأن الدخان العظيم إذا ارتفع تشعَّبَ[٣]. ثم وصَف الظلَّ فقال: ﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾ أي: ليس كالظلِّ الذي يقي حَرَّ الشمس﴿وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ أي: لا يدفع من لهب جهنم شيئاً[٤].

واللهب ما يعلو على النار إذا اضطرمت، من أحمر وأصفر وأخضر.

وقيل: إن الشُّعَب الثلاث هي الضريع والزَّقُّوم والغِسْلين، قاله الضحاك. وقيل: اللهب ثم الشَّرر ثم الدخان، لأنها ثلاثة أحوال، هي غاية أوصاف النار إذا اضطرمت واشتدَّت[٥].

وقيل: عُنُق يخرج من النار، فيتشعب ثلاث شعب [نورٌ ودخان ولهب]. فأما النورفيقف على رؤوس المؤمنين، وأما الدخان فيقف على رؤوس المنافقين، وأما اللهب الصافي فيقف على رؤوس الكافرين[٦].

---

(١) في النسخ الخطية: العجوة. والمثبت من (م)، ولم نقف عليه.

(٢) برقم(٢٨٣٩)، وسلف ١٦/ ٢٩ .

(٣) الكلام بنحوه في الكشاف ٤/ ٢٠٤ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٦٨ بنحوه.

(٥) النكت والعيون ٦/ ١٧٩ .

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٤٣٤ ، وما بين حاصرتين منه.

وقيل: هو السُّرَادق، وهو لسان من النار يحيط بهم، ثم يتشعب منه ثلاث شعب، فتظللهم حتى يُفْرَغ من حسابهم إلى النار[١]. وقيل: هو الظلُّ من يَحْموم، كما قال تعالى: ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ . وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ . لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة: ٤٢-٤٤] على ماتقدَّم[٢]. وفي الحديث: إن الشمس تدنو من رؤوس الخلائق وليس عليهم يومئذ لباس ولالهم أكنان، فتلفحُهم الشمس[٣] وتأخذ بأنفاسهم، ومُدَّ ذلك اليوم، ثم ينجّي الله برحمته من يشاء إلى ظلٍّ من ظلِّه، فهنالك يقولون: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧]. ويقال للمكذبين: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ من عذاب الله وعقابه ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾. فيكون أولياء الله جلَّ ثناؤه في ظلِّ عرشه، أو حيث شاء من الظلِّ، إلى أن يفرغ من الحساب ثم يؤمر بكلِّ فريق إلى مستقرِّه من الجنة والنار.

ثم وصف النار فقال: ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ﴾ الشرر: واحده شررة. والشَّرار: واحدته شرارة، وهو ما تطاير من النار في كل جهة، وأصله من شَرَرْتُ الثوبَ: إذا بسطتَه للشمس ليجفَّ[٤]. والقصر: البناء العالي. وقراءة العامة: «كَالْقَصرِ» بإسكان الصاد، أي: الحصون والمدائن في العِظم، وهو واحد القصور، قاله ابن عباس وابن مسعود[٥]. وهو في معنى الجمع على طريق الجنس[٦]. وقيل: القَصْر جمع قَصْرةٍ ساكنة الصاد، مثل جَمْرَة وجَمْر، وتَمْرة وتَمْر. والقصرة: الواحدة من جَزْل الحطب الغليظ[٧].

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٠٤.

(٢) تفسير الرازي ٣٠/ ٢٧٥ بنحوه، وتقدم ٢٠/ ٢٠١ - ٢٠٢.

(٣) في النسخ: ولا لهم أكفان فتلحقهم الشمس، وهو خطأ، وينظر تأويل مشكل القرآن ص٢٤٥ لابن قتيبة، والكلام له. ونقله عنه أبو الليث السمرقندي ٣/ ٤٣٦ بنحوه.

(٤) بنحوه في تفسير الرازي ٣٠/ ٢٧٦.

(٥) أخرجه الطبري ٢٣/ ٦٠١، والبيهقي في الشعب (٥٧١) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٨٠، والبغوي ٤/ ٤٣٤ عن ابن مسعود ﷺ.

(٦) تفسير الرازي ٣٠/ ٢٧٧ بنحوه.

(٧) تفسير الطبري ٢٣/ ٦٠٥، وتهذيب اللغة ٨/ ٣٦١ من قول الحسن. وجَزْل الحطب: ما عَظُمَ منه ويبس.

وفي البخاري[(١)] عن ابن عباس أيضاً: ﴿تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ﴾ قال: كنَّا نرفع الخشَبَ بقَصَرٍ ثلاثةَ أذرعٍ أو أقلَّ، فنرفعه للشتاء، فنسميه القَصَر.

وقال سعيد بن جُبير والضحاك: هي أصول الشجر والنخل العظام[(٢)] إذا وقع وقُطِع. وقيل: أعناقه.

وقرأ ابن عباس ومجاهد وحُميد والسُّلَميُّ: «كَالقَصَرِ» بفتح الصاد[(٣)]، أراد أعناق النخل. والقَصَرة العنق، جمعها: قَصَر وقَصَرات[(٤)]. وقال قتادة: أعناق الإبل[(٥)]. وقرأ سعيد بن جُبير بكسر القاف وفتح الصاد[(٦)]، وهي أيضاً جمع قَصْرة مثل بَدْرَة وبِدَر، وقَصْعة وقِصَع، وحَلْقَة وحِلَق، لِحلقِ الحديد. وقال: أبو حاتم: ولعله لغة، كما قالوا حاجَة وحِوَج[(٧)].

وقيل: القَصْر: الجبل، فشبَّه الشررَ بالقَصْر في مقاديره، ثم شبهه في لونه بالجِمالات الصُّفْر، وهي الإبل السود، والعرب تسمي السُّود من الإبل صُفْراً[(٨)]، قال الشاعر:

تِلْكَ خَيْلي منه وتلك رِكَابي ... هُنَّ صُفْرٌ أوْلَادُها كالزَّبِيبِ[(٩)]

أي: هنَّ سود. وإنما سُمِّيت السُّود من الإبل صُفراً لأنه يشوب سوادَها شيءٌ من

(١) برقم (٤٩٣٢).

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٤٣٤ .

(٣) المحتسب ٢/ ٣٤٦ ، والقراءات الشاذة ص١٧٦ عن ابن عباس ومجاهد.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٤٣٤ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ١٨٠ .

(٦) المحتسب ٢/ ٣٤٦ ، والقراءات الشاذة ص١٦٧ .

(٧) الكلام بنحوه في المحتسب ٢/ ٣٤٦ .

(٨) الكلام بنحوه في تفسير أبي الليث ٣/ ٤٣٦-٤٣٧ ، وفي الصحاح (صفر)، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٢٠ .

(٩) البيت للأعشى، وهو في ديوانه ص٣٨٥ ، وسلف ٢/ ١٨٥ ، وجاءت روايته في (ي): تلك خيلي وتلك هي ركابي .

صُفرة، كما قيل لِبيض الظِّباء: الأُدْم، لأن بياضها تعلوه كُدْرةٌ، والشررُ إذا تطاير وسقط وفيه بقية من لون النار أشبهُ شيء بالإبل السود، لما يشوبُها من صُفْرة[١]. وفي شعر عِمران بن حِطَّان الخارجيّ:

دَعَتْهُمْ بِأَعلى صَوْتِها وَرَمَتْهُمُ بِمثلِ الجِمالِ الصُّفْرِ نَزَّاعةُ الشَّوَى[٢]

وضعَّف الترمِذِيُّ[٣] هذا القول فقال: وهذا القول محال في اللغة، أن يكون شيء يشوبه شيء قليل، فينسب كله إلى ذلك الشائب، فالعجب لمن قد قال هذا، وقد قال الله تعالى: ﴿جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ فلا نعلم شيئاً من هذا في اللغة. ووجهه عندنا أن النار خُلِقت من النور، فهي نار مضيئة، فلما خلق الله جهنمَ ـ وهي موضع النار ـ حشا ذلك الموضع بتلك النار، وبعث إليها سلطانه وغضبه، فاسودَّت من سلطانه وازدادت حِدَّةً، وصارت أشدَّ سواداً من النار ومن كلِّ شيء سواداً، فإذا كان يوم القيامة وجيء بجهنم في الموقف رمت بشررها على أهل الموقف، غضباً لغضب الله، والشررُ هو أسود؛ لأنه من نار سوداء، فإذا رمته[٤] النار بشررها فإنها ترمي الأعداء به، فهنَّ سود من سواد النار، لايصل ذلك إلى الموحِّدين؛ لأنهم في سرداق الرحمة قد أحاط بهم في الموقف، وهو الغمام الذي يأتي فيه الربُّ تبارك وتعالى، ولكن يعاينون ذلك الرميَ، فإذا عاينوه نزع اللهُ ذلك السلطان والغضبَ عنه في رأي العين منهم حتى يروها صفراء؛ ليعلم الموحِّدون أنهم في رحمة الله لا في سلطانه وغضبه.

وكان ابن عباس يقول: الجِمالات الصُّفر: حِبال السفن يُجمع بعضُها إلى بعض حتى تكون كأوساط الرجال. ذكره البخاريُّ[٥]، وكان يقرؤها: «جُمَالَاتٌ» بضم

---

(١) الكلام بنحوه في تفسير البغوي ٤/ ٤٣٥ .

(٢) الكشاف ٤/ ٢٠٤ ، وذكره السمين في الدر ١٠/ ٦٤٢ .

(٣) في (د): اليزيدي.

(٤) في (م) رمت.

(٥) برقم (٤٩٣٣) .

الجيم[١]، وكذلك قرأ مجاهد وحُميد[٢]: «جُمَالاَت» بضم الجيم، وهي الحِبال الغِلاظ، وهي قُلُوس السفينة، أي: حبالها، وواحد القُلُوس: قَلْس[٣]. وعن ابن عباس أيضاً على أنها قطع النحاس[٤]. والمعروف في الحبل الغليظ: جُمَّل؛ بتشديد الميم كما تقدم في «الأعراف»[٥].

و«جُمَالاَت» بضم الجيم: جمع جِمالة بكسر الجيم مُوَحَّداً، كأنه جمع جَمَل، نحو حَجَر وحجارة، وذَكَر وذِكَارة[٦]. وقرأ يعقوب وابن أبي إسحاق وعيسى والجَحْدَريُّ: «جُمَالة» بضم الجيم موحداً وهي الشيء العظيم المجموع بعضُه إلى بعض[٧]. وقرأ حفص وحمزة والكسائي: «جِمَالة» وبقية السبعة: «جِمَالَات»[٨]

قال الفراء[٩]: يجوز أن تكون الجِمالات جمع جِمال كما يقال: رجل ورِجال ورِجالات.

وقيل: شبهها بِالجِمالات لسرعة سيرها. وقيل: لمتابعة بعضها بعضاً[١٠].

والقَصْر: واحدُ القصور. وقصْر الظلام: اختلاطُه. ويقال: أتيته قصراً، أي: عَشيّاً، فهو مشترك، قال:

---

(١) المحتسب ٢/ ٣٤٧.

(٢) ذكر ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤٥١ عن حُميد قراءة «جُمالة» بالإفراد.

(٣) الكلام بنحوه في الكشاف ٤/ ٢٠٤.

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/ ٦٠٨، والبيهقي في البعث (٥٧١).

(٥) ٩/ ٢٢٠.

(٦) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٦٨.

(٧) كذا نقل المصنف من قراءة يعقوب عن البغوي في تفسيره ٤/ ٤٣٥، والذي ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤٥١، وابن الجزري في النشر ٢/ ٣٩٧ من رواية رويس عنه: جُمالات، على الجمع وضم الجيم.

(٨) السبعة ص٦٦٦، والتيسير ص٢١٨.

(٩) في معاني القرآن ٣/ ٢٢٥.

(١٠) النكت والعيون ٦/ ١٨٠.

كَـأَنَّـهُـمُ قَـصْـراً مَـصـابِـيـحُ راهِـبٍ   بِـمَـوْزَنَ رَوَّى بـالـسَّـلِـيـطِ ذُبـالَـهـا[١]

مسألة: في هذه الآية دليل على جواز ادِّخار الحطب والفحم وإن لم يكن من القوت، فإنه من مصالح المرء ومغاني مفاقِرِه. وذلك مما يقتضي النظر أن يكتسبه في غير وقت حاجته، ليكون أرخص، وحالة وجوده أمكن، كما كان النبيُّ ﷺ يدَّخر القوت[٢] في وقت عموم وجوده من كسبه وماله، وكلُّ شيء محمول عليه[٣]. وقد بين ابن عباس هذا بقوله: كنا نعمَد إلى الخشبة فنقطعها ثلاثَة أذرع وفوق ذلك ودونه وندَّخره للشتاء، وكنا نسميه القَصَر[٤]. وهذا أصحُّ ما قيل في ذلك. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۝٣٦ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٣٧﴾

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ أي: لا يتكلمون ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ أي: إن يوم القيامة له مواطن ومواقيت، فهذا من المواقيت التي لا يتكلمون فيها[٥]، ولا يؤذن لهم في الاعتذار والتنصل[٦]. وعن عِكرمة عن ابن عباس قال: سأله ابن الأزرق عن قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ و﴿فلا تَسْمَعُ إلا هَمْساً﴾ [طه:١٠٨] وقد قال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصافات:٢٧] فقال له: إن الله عز وجل يقول: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج:٤٧] فإن لكل مقدار من هذه الأيام لوناً من هذه الألوان.

---

(١) البيت لكثيِّر عزة، وهو في ديوانه ص٢٢٦ ، والصحاح (قصر)، وقوله: بموْزَن، هو بلد بالجزيرة ثم ديار مضر، فتحه عياض بن غنم صلحاً كما ذكر ياقوت في معجم البلدان ٥/ ٢٢١-٢٢٢ . والسَّليط: الزيت. والذُّبال: الفتيل. القاموس المحيط (سلط ـ ذبل).

(٢) ينظر ما سلف ١٠/ ١٥٩-١٦٠ .

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٩٠ .

(٤) سلف ص٥١٠ من هذا الجزء.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٦٨ .

(٦) تفسير أبي الليث ٣/ ٤٣٧ بنحوه.

وقيل: لاينطقون بحجة نافعة، ومَن نطق بما لا ينفع ولا يفيد فكأنه ما نَطَق. قال الحسن: لاينطقون بحجة وإن كانوا ينطقون[١].

وقيل: إن هذا وقت جوابهم ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون:١٠٨] وقد تقدَّم[٢].

وقال أبو عثمان: أسكتتهم رؤيةُ الهيبة وحياءُ الذنوب. وقال الجُنيد: أيُّ عذر لِمن أعرض عن مُنعِمِه، وجحده وكفر أياديه ونِعمه[٣]؟

و«يوم» بالرفع قراءة العامة على الابتداء والخبر، أي: تقول الملائكة: «هذا يوم لاينطِقون». ويجوز أن يكون قوله: «انطلِقوا» من قول الملائكة، ثم يقول اللهُ لأوليائه: هذا يوم لاينطِق الكُفَّار. ومعنى اليوم: الساعة والوقت. وروى يحيى بن سليمان[٤] عن أبي بكر عن عاصم: «هذا يومَ لاينطِقون» بالنصب، ورُوِيتْ عن ابن هُرْمز وغيره[٥]، فجاز أن يكون مبنياً لإضافته إلى الفعل وموضعه رفع. وهذا مذهب الكوفيين. وجاز أن يكون في موضع نصب على أن تكون الإشارة إلى غير اليوم. وهذا مذهب البصريين؛ لأنه إنما بني عندهم إذا أضيف إلى مبنيٍّ، والفعل هاهنا معرب[٦].

وقال الفراء[٧] في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ﴾: الفاء نَسْقٌ، أي عطف على«يُؤْذَن»، وأجيز ذلك؛ لأن أواخر الكلام بالنون. ولو قال: فيعتذروا لم يوافق

---

(١) تفسير الرازي ٣٠/ ٢٧٩ بنحوه.

(٢) ١٥/ ٩٢ وما بعد.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٤٣٥ .

(٤) في(م): سلطان. والمثبت من باقي النسخ الخطية وهو الموافق لما في جامع البيان في القراءات السبع ٢/ ٤٧٢ .

(٥) ذكرها النحاس في إعراب القرآن ٥/ ١٢١ ، وابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦٧ عن الأعرج والأعمش.

(٦) الكلام بنحوه في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٩٣ .

(٧) في معاني القرآن له ٣/ ٢٢٧ .

الآيات. وقد قال: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟﴾ [فاطر: ٣٦] بالنصب، وكلُّه صواب؛ ومثله: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٤٥] بالنصب والرفع.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ أي: ويقال لهم: هذا يوم الفصل الذي يُفْصل[1] فيه بين الخلائق؛ فيتبين المُحِقُّ من المُبطل[2]. ﴿جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ﴾ قال ابن عباس: جمع الذين كذّبوا محمداً والذين كذَّبوا النبيين من قبله، رواه عنه الضحاك. ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾ أي: حيلةٌ في الخلاص من الهلاك[3] ﴿فَكِيدُونِ﴾ أي: فاحتالوا لأنفسكم وقاوُوْني، ولن تجدوا ذلك. وقيل: «فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ» أي: قدرتم على حربِ«فَكِيدُوني» أي: حاربوني. كذا روى الضحاك عن ابن عباس. قال: يريد: كنتم في الدنيا تحاربون محمداً ﷺ وتحاربونني، فاليوم حاربوني.

وقيل: أي: إنكم كنتم في الدنيا تعملون بالمعاصي وقد عجزتم الآن عنها وعن الدَّفْع عن أنفسكم[4]. وقيل: إنه من قول النبيِّ ﷺ، فيكون كقول هود: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لاَ تُنْظِرُونِ﴾ [هود: ٥٥].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ﴾أخبر بما يصير إليه المتقون غداً،

---

(١) جاءت العبارة في (د) هذا يوم الذي يفصل، وفي (ز) و(م) و(ي) هذا اليوم الذي يفصل. والمثبت من (ظ).

(٢) الكلام بنحوه في تفسير الطبري ٢٣/ ٦١١، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٦٨.

(٣) في (ز) و(ظ): العذاب.

(٤) الكلام بنحوه في مجمع البيان للطبرسي ٢٩/ ١٦٣.

والمراد بالظِّلال: ظِلال الأشجار وظِلال القصور[١] مكان الظِّلِّ في الشُّعَب الثلاث. وفي سورة يس: ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾ [يس: ٥٦].

﴿وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ أي: يتمنَّون[٢]. وقراءة العامة: «ظِلَٰلٍ». وقرأ الأعرج والزهريُّ وطلحة: «ظُلَلٍ»[٣] جمع ظُلَّة يعني في الجنة. ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ أي: يقال لهم غداً هذا بدل ما يقال للمشركين: «فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فكيدون». فـ «كُلُوا وَاشْرَبُوا» في موضع الحال من ضمير «الْمُتَّقِين» في الظرف الذي هو «في ظِلَٰلٍ» أي: هم مستقرُّون «في ظِلالٍ» مقولاً لهم ذلك[٤].

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: نُثيب الذين أحسنوا في تصديقهم بمحمدٍ ﷺ وأعمالهم في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ۝٤٦ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٤٧﴾

قوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا﴾ هذا مردودٌ إلى ما تقدم قبلَ المتقين، وهو وعيد وتهديد[٥]، وهو حال من «الْمُكَذِّبِينَ» أي: الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم: «كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً»[٦].

﴿إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾ أي: كافرون. وقيل: مكتسبون فعلاً يضرُّكم في الآخرة، من الشرك والمعاصي.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ۝٤٨ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٤٩ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ۝٥٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ﴾ أي: إذا قيل لهؤلاء المشركين:

---

(١) الكلام بنحوه في الوسيط ٤/ ٤١٠ .

(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ٤٣٧ .

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٢١ ،عن الأعرج والأعمش. ووقع في (ظ): ظل.

(٤) الكشاف ٤/ ٢٠٥ .

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٢١ بنحوه.

(٦) الكشاف ٤/ ٢٠٥ .

«ارْكَعُوا» أي: صلُّوا ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾ أي: لا يُصَلُّون؛ قاله مجاهد[(١)].

وقال مقاتل: نزلت في ثقيف، امتنَعوا من الصلاة، فنزَل ذلك فيهم[(٢)]. قال مقاتل: قال لهم النبيُّ ﷺ: «أسلِموا»، وأمرَهم بالصلاة، فقالوا: لا ننحني فإنها مَسبَّةٌ علينا، فقال النبيُّ ﷺ: «لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود»[(٣)].

يُذْكَر أن مالكاً رحمه الله دخَل المسجد بعد صلاة العصر ـ وهو ممن لا يرى الركوع بعد العصر ـ فجلس ولم يركع، فقال له صبيٌّ: يا شيخ، قم فاركع. فقام وركع ولم يحاجِّه بما يراه مذهباً، فقيل له في ذلك، فقال: خشيتُ أن أكون من الذين «إِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ».

وقال ابن عباس: إنما يقال لهم هذا في الآخرة حين يُدْعون إلى السجود فلا يستطيعون[(٤)]. قتادة: هذا في الدنيا[(٥)]. ابن العربيّ[(٦)]: هذه الآية حجة على وجوب الركوع وإنزاله ركناً في الصلاة، وقد انعقد الإجماعُ عليه، وظنَّ قومٌ أنَّ هذا إنما يكون في القيامة، وليست بدار تكليف، فيتوجه فيها أمرٌ يكون عليه ويلٌ وعقاب، وإنما يُدعون إلى السجود كَشْفاً لحالِ الناس في الدنيا، فمن كان يَسجد لله تمكَّن[(٧)] من السجود، ومن كان يسجد رياءً لغيره صار ظهرُه طَبَقاً واحداً.

وقيل: أي: إذا قيل لهم اخضعوا للحقِّ لا يخضعون، فهو عامٌّ في الصلاة

(١) في تفسيره ٢/ ٧١٨، وذكره عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤٥٢.

(٢) النكت والعيون ٦/ ١٨١، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٢١.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٢١ بنحوه، وزاد المسير ٨/ ٤٥٢ وقوله منه: «لا خير في دين ليس فيه ركوع». وقع في حديث عثمان بن أبي العاص في خبر وفد ثقيف بسياق آخر أخرجه الإمام أحمد (١٧٩١٣)، وأبو داود (٣٠٢٦).

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٤٣٦، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٦١٣.

(٥) أخرجه الطبري ٢٣/ ٦١٣ بنحوه.

(٦) في أحكام القرآن ٤/ ١٨٩٠.

(٧) في (ظ): فمن كان يسجد له في الدنيا يمكن ....

وغيرها، وإنما ذَكر الصلاةَ؛ لأنها أصلُ الشرائع بعد التوحيد. وقيل: الأمر بالصلاة أمرٌ بالإيمان؛ لأنها لا تصح من غير إيمان[١].

قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: إنْ لم يصدِّقوا بالقرآن الذي هو المعجز والدلالةُ على صدق الرسول عليه الصلاة والسلام؛ فبأيِّ شيء يصدِّقون؟![٢]

وكرَّرَ «وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» لمعنى تكرير التخويف والوعيد. وقيل: ليس بتكرار؛ لأنه أراد بكلٍّ قول منه غيرَ الذي أراده بالآخر؛ كأنه ذكر شيئاً فقال: ويل لمن يكذِّب بهذا، ثم ذكر شيئاً آخر فقال: ويل لمن يكذِّبُ بهذا، ثم ذكر شيئاً آخر فقال: ويل لمن يكذِّب بهذا. ثم كذلك إلى آخرها[٣].

ختمت السورة ولله الحمد.

تم الجزء الحادي والعشرون من تفسير القرطبي
ويليه الجزء الثاني والعشرون ويبدأ بتفسير سورة النبأ

---

(١) الكلام بنحوه في تفسير الرازي ٣٠/ ٢٨٤ .

(٢) الكلام بنحوه في تفسير الطبري ٢٣/ ٦١٤ ، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٦٩ .

(٣) زاد المسير ٨/ ٤٤٨ بنحوه.

سورة ﴿والمرسلات﴾

مَكِّيَّةٌ، وآيُها خمسونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١ ـ ٥) ـ ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (٤) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾ أقسَمَ بطوائِفَ مِن الملائكةِ أرسلهنَّ اللهُ بأوامـرِه متتابعةً، فعصَفْنَ عصفَ الرِّياحِ في امتثالِ أمرِه، ونَشَرْنَ الشَّرائعَ في الأرضِ، أو نَشَرْنَ النُّفوسَ الموتَى بالجهلِ بما أَوْحَيْن من العلمِ، ففرَقنَ بينَ الحقِّ والباطلِ، فألقينَ إلى الأنبياءِ ذكرًا عُذرًا للمُحقِّينَ ونُذْرًا للمُبْطِلينَ.

أو: بآياتِ القرآنِ المرسَلةِ بكلِّ عُرْفٍ إلى مُحَمَّـدٍ عليهِ السَّلامُ، فعصَفْنَ سائرَ الكتبِ والأديانِ بالنَّسخِ، ونشرنَ آثارَ الهُدَى والحِكَمَ في الشَّرقِ والغربِ، وفرَقْنَ بينَ الحقِّ والباطلِ، فألقينَ ذكرَ الحقِّ فيما بينَ العالَمينَ.

أو: بالنُّفوسِ الكاملةِ المرسَلةِ إلى الأبدانِ لاستكمالِها، فعصَفْنَ ما سوى الحقِّ، ونشرنَ أثرَ ذلك في جميعِ الأَعضاءِ، ففرَقنَ بينَ الحقِّ بذَاتِه والباطل في نفسِهِ، فيرونَ كلَّ شيءٍ هالِكًا إلا وجهَه، فألقينَ ذِكرًا بحيثُ لا يكونُ في القلوبِ والألسِنَةِ إلا ذكرُ اللهِ تَعالى.

أو: برياحِ عَذابٍ أُرسِلْنَ فعَصَفْنَ، ورياحِ رحمَةٍ نشرنَ السَّحابَ في الجوِّ ففرَقنَ

فألقينَ ذكرًا؛ أي: تسبَّبْنَ له؛ فإنَّ العاقلَ إذا شاهَدَ هُبوبَها وآثارَها ذكرَ اللهَ تَعالى وتذكَّرَ كمالَ قُدرَتِه.

و﴿عُرْفًا﴾ إمَّا نقيضُ النُّكرِ، وانتصابهُ على العِلَّةِ؛ أي: أُرْسِلْنَ للإحسانِ والمعروفِ، أو بمَعنى المتابِعَةِ، مِن عُرْفِ الفَرَسِ، وانتصابُه على الحالِ.

(٦) ـ ﴿عُذْرًا أو نُذْرًا﴾ مَصدرانِ لعَذَرَ: إذا مَحا الإساءَةَ، وأَنْذَرَ(١): إذا خوَّفَ.

أو جمعانِ لعَذِيرٍ بمعنى المَعذرَةِ، ونذيرٍ بمعنى الإنذارِ.

أو بمَعْنَى العاذرِ والمنذرِ.

ونصبُهُما على الأوَّلَينِ بالعِلِّيَّةِ؛ أي: عُذْرًا للمُحِقِّينَ ونُذْرًا للمُبْطِلينَ، أو البدليَّةِ من ﴿ذِكْرًا﴾ على أنَّ المرادَ به الوَحْيُ، أو ما يعمُّ التَّوحيدَ والشِّركَ والإيمانَ والكفرَ.

وعلى الثَّالثِ بالحاليةِ.

وقرأَهُما أبو عمرٍو وحمزةُ والكسائيُّ وحفصٌ بالتَّخفيفِ(٢).

(٧) ـ ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ﴾ جوابُ القسمِ، ومعناه: إنَّ الذي توعدونَهُ مِن مَجيءِ القيامةِ كائن لا محالةَ.

(٨ ـ ١١) ـ ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾: مُحِقَتْ ومُحيتْ، أو أُذهبَ نورُها ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ﴾: صُدِعَتْ ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ كالحَبِّ يُنسَفُ بالمِنسَفِ ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾:

---

(١) قولُه: (أَنْذَرَ) قياسُ مصدرِه «الإفعالُ»، وهذا على خلافِ القياسِ. وقيلَ: إنَّه اسمُ مصدرٍ؛ لأنَّ «فُعْل» لـم يُعهَدْ في مصدرِ «الإفعالِ». وقيلَ: مصدرُ «نذَرَ» بمعنَى «أَنذَرَ»، وفيه نظرٌ. قاله الخفاجي.

(٢) قرأ ﴿عُذُرًا﴾ بضم الذال روح عن يعقوب، وباقي العشرة بسكونها. انظر: «النشر» (٢/ ٢١٧).
وقرأ ﴿نُذُرًا﴾ بضم الذال ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو بكر، والباقون بإسكانها، انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٥)، و«التيسير» (ص: ٢١٨).

عيِّنَ لها وقتُها الذي يحضرونَ فيه للشَّهادةِ على الأُمَمِ بحُصولِه فإنَّه لا يتعيَّنُ لهم قبلَه[١]، أو: بلغَتْ مِيقاتَها الذي كانَتْ تنتَظِرُه.

وقرأ أبو عَمرٍو: ﴿وُقِّتَتْ﴾ على الأَصْلِ[٢].

(١٢) ـ ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾؛ أي: يقالُ: لأيِّ يومٍ أُخِّرَتْ؟ وضربُ الأَجَلِ للجَمعِ، وهو تعظيمٌ لليَومِ وتَعجيبٌ مِن هَولِه، ويجوزُ أَنْ يكونَ ثانيَ مَفْعولَي ﴿أُقِّتَتْ﴾ على أنَّه بمَعنى: أُعلمَتْ.

(١٣) ـ ﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ﴾ بيانٌ ليومِ التَّأجيلِ.

(١٤) ـ ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾: ومن أينَ تَعلمُ كُنْهَه ولم ترَ مثلَهُ.

(١٥) ـ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾؛ أي: بذلك، و(ويلٌ) في الأصلِ مَصدَرٌ مَنصوبٌ بإضمارِ فعلِه عُدِلَ بهِ إلى الرَّفعِ للدَّلالةِ على ثباتِ الهُلْكِ للمَدْعُوِّ عليه، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ظرفُه أو صِفَتُه.

(١٦) ـ ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ كقومِ نُوحٍ وعادٍ وثَمُودَ، وقُرِئَ: (نَهلِكْ)[٣] مِن هلكَهُ بمَعنى: أهلكَهُ.

(١٧) ـ ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ﴾: ثمَّ نحنُ نُتْبِعُهُم نظراءَهُم ككفَّارِ مكَّةَ.

وقُرِئَ بالجزمِ[٤] عَطفًا على ﴿نُهْلِكِ﴾، فيكونُ ﴿ٱلْآخِرِينَ﴾: المتأخِّرينَ مِنَ المُهْلَكينَ كقَوْمِ لُوطٍ وشُعَيبٍ ومُوسَى عليهم السَّلامِ.

---

(١) قوله: «بحُصولِه...»؛ أي: بحصول ذلك الوقت ووجوده؛ أي: تعيين وقتها إنما هو بحصوله لا بتعيينه قبله، فإنه لم يتعين قبله بطريق الوحي أو غيره. انظر: «حاشية ابن التمجيد» (١٩/ ٥١١).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٦)، و«التيسير» (ص: ٢١٨).

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٧) عن قتادة.

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٧)، و«المحتسب» (٢/ ٣٤٦)، عن الأعرج.

(١٨) ـ ﴿كَذَٰلِكَ﴾: مثلَ ذلك الفعلِ ﴿نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾: بكلِّ مَن أجرمَ.

(١٩) ـ ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ بآياتِ اللهِ وأنبيائهِ فليسَ تكريرًا، وكذا إنْ أُطلقَ التَّكذيبُ، أو علِّقَ في الموضِعَيْنِ بواحدٍ؛ لأنَّ الويلَ الأوَّلَ لعَذابِ الآخرةِ، وهذا للإهلاكِ في الدُّنيا، مع أنَّ التَّكريرَ للتَّوكيدِ حسنٌ شائعٌ في كلامِ العَربِ.

(٢٠ ـ ٢٢) ـ ﴿أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ﴾: نطفةٍ قَذِرَةٍ ذَليلةٍ ﴿فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ﴾ هو الرَّحِمُ ﴿إِلَىٰ قَدَرٖ مَّعۡلُومٖ﴾: إلى مقدارٍ مَعلومٍ مِن الوَقتِ قدَّرَهُ اللهُ للولادةِ.

(٢٣) ـ ﴿فَقَدَرۡنَا﴾: فقدَرْنَا على ذلك، أو: فقدَّرْناهُ، ويدلُّ عليه قراءةُ نافعٍ والكسائيِّ بالتَّشديدِ[١].

﴿فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ﴾ نحن.

(٢٤) ـ ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ بقُدْرَتِنا على ذلك، أو على الإعادةِ.

(٢٥) ـ ﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا﴾: كافتةً، اسمٌ لِمَا يَكفِتُ؛ أي: يَضمُّ ويَجمعُ كالضِّمامِ والجِماعِ لِمَا يَضمُّ ويَجمَعُ، أو مصدرٌ نُعِتَ به.

أو جمعُ كافِتٍ كصَائِمٍ وصِيَامٍ، أو كِفْتٍ وهو الوعاءُ، أُجريَ على الأرضِ باعتبارِ أَقْطارِهَا[٢].

(٢٦) ـ ﴿أَحۡيَآءٗ وَأَمۡوَٰتٗا﴾ مُنتَصِبَانِ على المفعوليَّةِ، وتنكيرُهما للتَّفخيمِ، أو لأنَّ أحياءَ الإنسِ وأمواتَهُم بعضُ الأحياءِ والأمواتِ، أو الحاليةِ مِن مَفعولِه المحذوفِ للعلمِ بهِ وهو الإنسُ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٦)، و«التيسير» (ص: ٢١٨).

(٢) قولُه: (أُجرِيَ على الأرضِ)؛ لأنَّه مفعولٌ ثانٍ، وهذا توجيهٌ له على وجهَي الجمعِ مع أن الأرض مُفرَدةٌ. قاله الشهاب.

أو بـ﴿نَجْعَلِ﴾ على المفعوليَّةِ و﴿كِفَاتًا﴾ حالٌ، أو الحالِ، فيكونُ المعنيُّ بالأحياءِ ما يُنبتُ وبالأمواتِ ما لا يُنبتُ.

(٢٧) ـ ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾: جبالًا ثوابتَ طوالًا، والتَّنكيرُ للتَّفخيمِ وإشعارًا بأنَّ فيها ما لم يُعرَفْ ولم يُرَ ﴿وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾ بخلقِ الأنهارِ والمنابعِ فيهَا.

(٢٨) ـ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ بأمثالِ هذهِ النِّعَمِ.

(٢٩) ـ ﴿انطَلِقُوا﴾؛ أي: يقالُ لهم: انطلِقوا ﴿إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ مِن العَذابِ.

(٣٠) ـ ﴿انطَلِقُوا﴾ خصوصًا، وعن يعقوبَ: ﴿انطَلَقُوا﴾[1] على الإخبارِ مِن[2] امتثالِهم للأمرِ اضطرارًا.

﴿إِلَىٰ ظِلٍّ﴾ يعني: ظلَّ دخانِ جهنَّم، كقولِه تعالى: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٣].

﴿ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ يَتشعَّبُ لعظمِه كما تَرَى الدُّخانَ العظيمَ يتفرَّقُ ذوائبَ، وخُصوصيَّةُ الثَّلاثِ: إمَّا لأنَّ حجابَ النَّفسِ عَن أنوارِ القُدسِ الحسُّ والخَيالُ والوَهْمُ، أو لأنَّ المؤدِّيَ إلى هذا العذابِ هو القوَّةُ الواهِمَةُ الحالَّةُ في الدِّماغِ، والغَضَبيَّةُ التي في يمينِ القَلْبِ، والشَّهْوِيَّةُ التي في يَسارِه، ولذلك قيل: شُعبةٌ تقِفُ فوقَ الكافرِ، وشُعبةٌ عَن يمينِه، وشُعبةٌ عَن يَسارِه.

(٣١) ـ ﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾ تهكُّمٌ بهم، وردٌّ لِمَا أوهمَ لفظُ الظلِّ ﴿وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾: وغيرُ مُغْنٍ عَنهُم مِن حرِّ اللَّهَبِ شَيْئًا.

---

(١) انظر: «النشر» (٢/ ٣٩٧).

(٢) كذا في النسخ، والظاهر: «عن»، كما يفهم من قول الزمخشري: إخبَاراً بَعْدَ الأمر عن عمَلهم بمُوجَبِه؛ لأنَّهم مُضطرُّونَ إليه لا يَستَطِيعُونَ امتِنَاعاً مِنه.

(٣٢) ـ ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ﴾؛ أي: كلُّ شَرَرةٍ كالقصرِ في عِظَمِها، ويؤيِّدُه أنَّه قُرِئَ: (بشَرارٍ)[1].

وقيل: هو جمعُ قَصْرَةٍ وهي الشَّجرَةُ الغليظةُ.

وقُرِئَ: (كالقُصُر)[2] بمعنى القُصُورِ كرَهْن ورُهُن، و: (كالقِصَر)[3] جمعُ قَصَرةٍ كحاجةٍ وحِوَجٍ، و: (كالقَصَر)[4] وهي أصلُ العُنُقِ[5].

والهاءُ للشُّعَبِ.

(٣٣) ـ ﴿كأنه جِمَالَاتٌ﴾ جمعُ جمالٍ، أو جِمالَةٍ جمعِ جملٍ ﴿صُفْرٌ﴾ فإنَّ الشرارَ لِمَا فيه مِن النَّاريَّةِ يكونُ أصفرَ، وقيل: سودٌ؛ فإنَّ سوادَ الإبلِ يضربُ إلى الصُّفرَةِ، والأوَّلُ تشبيهٌ في العِظَمِ، وهذا في اللونِ والكثرةِ والتَّتابُعِ والاختلاطِ وسُرعَةِ الحركةِ.

وقرأَ حمزَةُ والكِسائيُّ وحفصٌ: ﴿جِمَلَتٌ﴾ وعن يعقوبَ[6]: ﴿جُمالاتٌ﴾[7]

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٨/ ٢٨٧)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٤٢٠)، و«البحر» (٢١/ ١٧٤)، عن عيسى بن عمر، وهذه بفتح الشين، وقرئ بكسرها كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٧) عن ابن عباس، و«الكامل في القراءات» (ص: ٦٥٦) عن ابن مقسم.

(٢) انظر: «المحتسب في شواذ القراءات» (ص: ١٦٧) عن ابن مسعود.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٧)، و«المحتسب» (٢/ ٣٤٦) عن ابن عباس وسعيد بن جبير.

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٧)، و«المحتسب» (٢/ ٣٤٦) عن ابن عباس وسعيد بن جبير.

(٥) أي: أصل عنق الإبل أو عنق النخل. انظر: «حاشية القونوي» (١٩/ ٥٢٢).

(٦) بعدها في نسخة الخيالي: «ورويس» وفي نسخة التفتازاني: «وورش». والصواب أنها رواية رويس عن يعقوب.

(٧) انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٦)، و«التيسير» (ص: ٢١٨)، و«النشر» (٢/ ٣٩٧).

بالضَّمِّ جمعُ (جُمالةٍ)، وقد قُرِئَ بها[1]، وهي الحبلُ الغليظُ مِن حبالِ السَّفينَةِ، شبَّهَهُ بها في امتدادِه والتفافِه.

(٣٤ـ ٣٥) ـ ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝٣٤ هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ﴾؛ أي: بما يستحقُّ[2]، فـإنَّ النُّطقَ بما لا يَنفعُ كَلَا نُطقٍ، أو: بشيءٍ مِن فَرْطِ الدَّهشَةِ والحيرةِ، وهذا في بعضِ المواقفِ.

وقُرِئَ بنصبِ اليومِ[3]، أي: هذا الذي ذُكرَ واقِعٌ يومَئذٍ.

(٣٦) ـ ﴿وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ﴾ عُطِفَ ﴿فَيَعۡتَذِرُونَ﴾ عـلـى ﴿يُؤۡذَنُ﴾ ليدلَّ على نفيِ الإذنِ والاعتذارِ عقيبَهُ مُطلقًا، ولو جعلَه[4] جوابًا لدلَّ على أنَّ عدمَ اعتذارِهم لعدمِ الإذنِ، وأَوْهَمَ ذلك أنَّ لهم عُذْرًا لكن لم يُؤذَنْ لَهُم فيه.

(٣٧ ـ ٣٨) ـ ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝٣٧ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ﴾ بيـن المحـقِّ والمُبطـلِ ﴿جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ﴾ تقريرٌ وبيانٌ للفَصلِ.

(٣٩) ـ ﴿فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ فَكِيدُونِ﴾ تقريعٌ لهم على كيدِهِم للمُؤمنينَ في الدنيا وإظهارٌ لعَجزِهِم.

(٤٠) ـ ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ إذ لا حيلةَ لهم في التَّخلُّصِ مِن العذابِ.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٧) عن أبي حيوة.

(٢) قولُه: «بما يستَحقُّ» بصيغةِ المجهولِ، أو المعلومِ والتَّقديرُ: بما يَستَحِقُّ التَّفوُّهَ به، أو الإصغاءَ لهُ، فلا يُنافي ما ورَدَ في غيرِ هذه الآيةِ منَ النُّطقِ؛ لأنَّهم نطَقُوا، لكنَّ نُطقَهم جُعِلَ كالعدَمِ لعدَمِ نفعِه. قاله الشهاب.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٧) عن أبي حيوة.

(٤) في نسخة الخيالي: «جعل».

(٤١ ـ ٤٢) ـ ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ مِن الشِّركِ ـ لأنَّهُم في مُقابلةِ المكذِّبينَ ـ ﴿فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ۝ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾: مُستقرُّونَ[١] في أنواعِ التَّرفُّهِ.

(٤٣) ـ ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: مَقُولًا لهم ذلك.

(٤٤) ـ ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ في العقيدَةِ.

(٤٥) ـ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ تمحَّضَ لهم العذابُ المخلَّدُ، ولخصومِهم الثَّوابُ المؤبَّدُ.

(٤٦) ـ ﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾ حالٌ مِن المكذِّبينَ؛ أي: الويلُ ثابتٌ لهم في حالِ ما يُقالُ لهم ذلك؛ تذكيرًا لهم بحالِهم في الدُّنيا وبما جَنَوْا على أنفُسِهم مِن إيثارِ المتاعِ القَليلِ على النَّعيمِ المقيمِ.

(٤٧) ـ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ حيثُ عرَّضُوا أنفُسَهُم للعَذابِ الدَّائمِ بالتَّمتُّعِ القليلِ.

(٤٨) ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟﴾: أطيعُوا واخضعُوا، أو صَلُّوا، أو: اركَعُوا في الصَّلاةِ، إذ رُوِيَ أنَّه نزلَ حينَ أَمَرَ رسولُ اللهِ ﷺ ثقيفًا بالصَّلاةِ فقالوا: لا نُجبِّي فإنَّها مَسَبَّةٌ[٢].

---

(١) في نسخة الخيالي: «مستغرقون».

(٢) رواه أبو داود (٣٠٢٦)، والإمام أحمد في «المسند» (١٧٩١٣)، من طريق الحسن عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه: أن وَفْدَ ثَقيفٍ لَمَّا قدمِوا على رسولِ الله ﷺ أنزلَهم المسجدَ ليكون أرقَّ لقلوبهم، فاشترطوا عليه أن لا يُحْشَروا ولا يُعْشَرُوا ولا يُجَبُّوا، فقال رسولُ الله ﷺ: «لكم أن لا تُحشَروا ولا تُعشَروا، ولا خيرَ في دِينٍ ليس فيه ركوعٌ» وليس فيه ذكر النزول. ورجاله ثقات، إلا أن في سماع الحسن ـ وهو البصري ـ من عثمان بن أبي العاص اختلافاً، قال عبد الحق الإشبيلي «الأحكام الوسطى» (٣/ ٧٥): ولا يعرف للحسن سماع عن عثمان، والحديث معروف وليس طرقه بقوية. =

وقيل: هو يومُ القيامةِ حينَ يُدْعَونَ إلى السُّجودِ فلا يَستَطِيعُونَ.

﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾: لا يمتثِلُونَ، واستُدلَّ بهِ على أنَّ الأمرَ للوُجوبِ، وأنَّ الكُفَّارَ مُخاطَبُونَ بالفُروعِ.

(٤٩ ـ ٥٠) ـ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٩) فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ﴾ بعد القرآنِ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ إذا لم يُؤمِنُوا به، وهو معجزٌ في ذاتهِ مُشتملٌ على الحُجَجِ الوَاضِحَةِ والمَعانِي الشَّريفَةِ.

قال عليهِ السَّلامُ: «مَن قرأَ سُورةَ ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾ كتبَ له أنَّه ليسَ مِن المُشركينَ»[1].

***

= قلت: ويُثبت سماعه منه ما أورده البخاري في «التاريخ الكبير» (٦/ ٢١٢) عن الحسن قوله: كنا ندخل على عثمان بن أبي العاص.

وذكره مع النزول الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٢٩٥)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٢١)، عن مقاتل.

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٢٦٨)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٠٧)، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه. قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك.

(٧٧) سورة المرسلات مكية وآياتها خمسون

روى البخاري، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ في غار بمنى، إذ نزلت عليه: ﴿والمرسلات﴾ فإنه ليتلوها وإني لأتلقاها من فيه، وإن فاه لرطب بها، إذا وثبت علينا حية، فقال النبي ﷺ: «اقتلوها» فابتدرناها، فذهبت، فقال النبي ﷺ: «وقيت شركم كما وقيتم شرها»[1]. وقال الإمام أحمد: ثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس عن أمه أنها سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالمرسلات عُرفاً، وعن ابن عباس أن أمّ الفضل سمعته يقرأ: ﴿والمرسلات عُرفاً﴾ فقالت: يا بني أذكرتني بقراءتك هذه السورة، إنها لآخر ما سمعت من رسول الله ﷺ يقرأ بها في المغرب[2].

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾

روى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة ﴿والمرسلات عُرفاً﴾ قال: هي الملائكة[3]، وروي عن أبي صالح أنه قال: هي الرسل. وقال الثوري، عن أبي العبيدين قال: سألت ابن مسعود عن المرسلات عرفاً، قال: الريح: وكذا قال في: ﴿العاصفات عصفاً والناشرات نشراً﴾ إنها الريح، وكذا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة، وتوقف ابن جرير في: ﴿المرسلات عرفاً﴾ هل هي الملائكة إذا أرسلت بالعرف، أو كعرف الفرس يتبع بعضهم بعضاً، أو هي

---

(١) أخرجه البخاري، ورواه مسلم من طريق الأعمش به.

(٢) أخرجاه في الصحيحين من طريق مالك عن الزهري. (٣) وهو قول مسروق وأبي الضحى والسدي والربيع بن أنس.

الرياح إذا هبت شيئاً فشيئاً ؟ وقطع بأن ﴿ العاصفات عصفاً﴾ الرياح، وتوقف في ﴿ الناشرات نشراً﴾ هل هي الملائكة أو الريح كما تقدم، وعن أبي صالح أن ﴿ الناشرات نشراً﴾ هي المطر ، والأظهر أن ﴿ المرسلات﴾ هي الرياح، كما قال تعالى: ﴿ وأرسلنا الرياح لواقح﴾، وقال تعالى: ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته﴾ ، وهكذا ﴿ العاصفات﴾ هي الرياح، يُقال: عصفت الرياح إذا هبت بتصويت، وكذا ﴿ الناشرات﴾ هي الرياح التي تنشر السحاب في آفاق السماء كما يشاء الرب عزَّ وجلَّ. وقوله تعالى: ﴿ فالفارقات فرقاً * فالملقيات ذكراً * عذراً أو نذراً﴾ يعني الملائكة فإنها تنزل بأمر الله على الرسل تفرق بين الحق والباطل، والهدى والغي، والحلال والحرام، وتلقي إلى الرسل وحياً فيه إعذار إلى الخلق، وإنذار لهم عقاب الله إن خالفوا أمره، وقوله تعالى: ﴿ إنما توعدون لواقع﴾ هذ هو المقسم عليه أي ما وعدتم به من قيام الساعة والنفخ في الصور وبعث الأجساد وجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد ومجازاة كل عامل بعمله إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، إن هذا كله لواقع أي لكائن لا محالة، ثم قال تعالى: ﴿ فإذا النجوم طمست﴾ أي ذهب ضوءها كقوله تعالى: ﴿ وإذا النجوم انكدرت﴾، وقوله: ﴿ وإذا السماء فرجت﴾ أي فطرت وانشقت وتدلت أرجاؤها ووهت أطرافها، ﴿ وإذا الجبال نسفت﴾ أي ذهب بها فلا يبقى لها عين ولا أثر ، كقوله تعالى: ﴿ ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً﴾ الآية ، وقال تعالى: ﴿ ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً﴾، وقوله تعالى : ﴿ وإذا الرسل أقتت﴾ قال ابن عباس : جمعت ، كقوله تعالى: ﴿ يوم يجمع الله الرسل﴾ وقال مجاهد: ﴿ اقتت﴾ أجلت، ثم قال تعالى: ﴿ لأي يوم أجلت * ليوم الفصل * وما أدراك ما يوم الفصل * ويل يومئذ للمكذبين﴾ يقول تعالى: لأي يوم أجلت الرسل وأرجئ أمرها حتى تقوم الساعة، كما قال تعالى: ﴿ فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام﴾ وذلك في يوم الفصل كما قال تعالى: ﴿ ليوم الفصل﴾ ثم قال تعالى معظماً لشأنه: ﴿ وما أدراك ما يوم الفصل﴾ ؟ ﴿ ويل يومئذ للمكذبين﴾ أي ويل لهم من عذاب الله غداً .

أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾

يقول تعالى : ﴿ ألم نهلك الأولين﴾ يعني المكذبين للرسل المخالفين لما جاءوهم به، ﴿ ثم نتبعهم الآخرين﴾ أي ممن أشبههم، ولهذا قال تعالى: ﴿ كذلك نفعل بالمجرمين * ويل يومئذ للمكذبين﴾، ثم قال تعالى ممتناً على خلقه ومحتجاً على الإعادة بالبداءة: ﴿ ألم نخلقكم من ماء مهين﴾ أي ضعيف حقير بالنسبة إلى قدرة الباري عزَّ وجلَّ، كما تقدم في سورة يس: « ابن آدم أنَّى تعجزني، وقد خلقتك من مثل هذه ؟ »[1] ﴿ فجعلناه في قرار

(١) أخرجه الإمام أحمد وابن ماجة .

مكين﴾ يعني جمعناه في الرحم، وهو حافظ لما أودع فيه من الماء، وقوله تعالى: ﴿إلى قَدَرٍ معلوم﴾ يعني إلى مدة معينة من ستة أشهر أو تسعة أشهر، ولهذا قال تعالى: ﴿فقدرنا فنعم القادرون * ويل يومئذ للمكذبين﴾، ثم قال تعالى: ﴿ألم نجعل الأرض كفاتاً * أحياء وأمواتاً﴾ قال مجاهد: يكفت الميت فلا يرى منه شيء، وقال الشعبي: بطنها لأمواتكم وظهرها لأحيائكم، ﴿وجعلنا فيها رواسي شامخات﴾ يعني الجبال رسى بها الأرض لئلا تميد وتضطرب، ﴿وأسقيناكم ماء فراتاً﴾ أي عذباً زلالاً من السحاب، أو مما أنبعه من عيون الأرض، ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ أي ويل لمن تأمل هذه المخلوقات، الدّالة على عظمة خالقها، ثم بعد هذا يستمر على تكذيبه وكفره.

ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾

يقول تعالى مخبراً عن الكفار المكذبين بالمعاد والجزاء أنهم يُقال لهم يوم القيامة ﴿انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون * انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب﴾ يعني لهب النار إذا ارتفع وصعد معه دخان، فمن شدته وقوته أن له ثلاث شعب، ﴿لا ظليل ولا يغني من اللهب﴾ أي ظل الدخان المقابل للهب لا ظليل هو في نفسه ﴿ولا يغني من اللهب﴾ يعني ولا يقيهم حرّ اللهب، وقوله تعالى: ﴿إنها ترمي بشرر كالقصر﴾ أي يتطاير الشرر من لهبها كالقصر، قال ابن مسعود: كالحصون، وقال ابن عباس ومجاهد: يعني أُصول الشجر ﴿كأنه جمالة صفر﴾ أي كالإبل السود، قاله مجاهد والحسن واختاره ابن جرير، وعن ابن عباس ﴿جمالة صفر﴾ يعني حبال السفن، وعنه ﴿جمالة صفر﴾: قطع نحاس، عن عبد الرحمن بن عابس: قال: سمعت ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿إنها ترمي بشرر كالقصر﴾ قال: كنا نعمد إلى الخشبة ثلاثة أذرع، وفوق ذلك فنرفعه للبناء، فنسميه القصر ﴿كأنه جمالة صفر﴾ حبال السفن تجمع حتى تكون كأوساط الرجال[1] ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾، ثم قال تعالى: ﴿هذا يوم لا ينطقون﴾ أي لا يتكلمون، ﴿ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾ أي لا يقدرون على الكلام ولا يؤذن لهم فيه ليعتذروا بل قد قامت عليهم الحجة، ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون، وعرصات القيامة حالات، والرب تعالى يخبر عن هذه الحالة تارة وعن هذه الحال تارة، ليدل على شدة الأهوال والزلازل يومئذ، ولهذا يقول بعد كل فصل من هذا الكلام ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾، وقوله تعالى: ﴿هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين * فإن كان لكم كيد فكيدون﴾ وهذه مخاطبة من الخالق تعالى لعباده يقول لهم: ﴿هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين﴾ يعني أنه جمعهم بقدرته في صعيد واحد، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، وقوله تعالى:

(١) أخرجه البخاري.

﴿فإن كان لكم كيد فكيدون﴾، تهديد شديد ووعيد أكيد أي إن قدرتم على أن تتخلصوا من قبضتي، وتنجوا من حكمي فافعلوا، فإنكم لا تقدرون على ذلك، كما قال تعالى: ﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان﴾. عن عبادة بن الصامت أنه قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ينفذهم ويسمعهم الداعي ويقول الله: ﴿هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين * فإن كان لكم كيد فكيدون﴾ اليوم لا ينجو مني جبار عنيد، ولا شيطان مريد[1].

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

يقول تعالى مخبراً عن عباده المتقين، إنهم يوم القيامة يكونون في جنات وعيون أي بخلاف ما أولئك الأشقياء فيه من ظل اليحموم وهو الدخان الأسود المنتن، وقوله تعالى: ﴿وفواكه مما يشتهون﴾ أي ومن سائر أنواع الثمار مهما طلبوا وجدوا، ﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون﴾ أي يقال لهم ذلك على سبيل الإحسان إليهم، ثم قال تعالى: ﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ أي هذا جزاؤنا لمن أحسن العمل، ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾، وقوله تعالى: ﴿كلوا وتمتعوا قليلاً إنكم مجرمون﴾ خطاب للمكذبين بيوم الدين، وأمرهم أمر تهديد ووعيد، فقال تعالى ﴿كلوا وتمتعوا قليلاً﴾ أي مدة قليلة قريبة قصيرة، ﴿إنكم مجرمون﴾ أي ثم تساقون إلى نار جهنم التي تقدم ذكرها، ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾، كما قال تعالى: ﴿نمتعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ﴾، وقال تعالى: ﴿ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون﴾، وقوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون﴾ أي إذا أمر هؤلاء الجهلة من الكفار أن يكونوا من المصلين مع الجماعة امتنعوا من ذلك واستكبروا عنه ولهـذا قال تعالى: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾، ثم قال تعالى: ﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾؟ أي إذا لم يؤمنوا بهذا القرآن فبأي كلام يؤمنون به؟ كقوله تعالى: ﴿فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون﴾؟ روي عن أبي هريرة: «إذا قرأ ﴿والمرسلات عُرفاً﴾ فقرأ ﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾؟ فليقل آمنت بالله وبما أنزل»[2].

[آخر تفسير سورة المرسلات. ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة]

* * *

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم.

تفسير سورة والمرسلات

وهى مكية .

قال البخارى : حدثنا عمر بن حفص بن غياث ، [حدثنا أبى] [(١)] ، حدثنا الأعمش ، حدثنى إبراهيم ، عن الأسود ، عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ قال : بينما نحن مع النبى ﷺ ، فى غار بمنى ، إذ نزلت عليه : ﴿ وَالْمُرْسَلاتِ ﴾ ، فإنه ليتلوها وإنى لأتلقاها من فيه ، وإن فاه لرطب بها ، إذ وَثَبت علينا حيَّة ، فقال النبى ﷺ : « اقتلوها » . فابتدرناها فذهبت ، فقال النبى ﷺ : « وُقِيَتْ شركم كما وُقِيتُم شرَّهَا » .

وأخرجه مسلم أيضا ، من طريق الأعمش[(٢)] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان بن عُيَيْنَة ، عن الزّهْرى ، عن عُبَيد الله ، عن ابن عباس ، عن أمه : أنها سَمعَت النبى ﷺ يقرأ فى المغرب بالمرسلات عُرفاً [(٣)] .

وفى رواية مالك ، عن الزهرى ، عن عُبَيد الله ، عن ابن عباس : أن أم الفضل سمعته يقرأ : ﴿ وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا ﴾ ، فقالت : يا بنى ، ذكَّرتنى بقراءتك هذه السورة ، إنها لآخر ما سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقرأ بها فى المغرب .

أخرجاه فى الصحيحين ، من طريق مالك ، به [(٤)] .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (٤) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٦) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ (٧) فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٨) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (٩) وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (١٠) وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (١١) لأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٢) لِيَوْمِ الْفَصْلِ (١٣) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ (١٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٥) ﴾ .

قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا زكريا بن سهل المروزى ، حدثنا على بن الحسن بن شقيق ، أخبرنا الحسين بن واقد ، حدثنا الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هُرَيرة : ﴿وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا ﴾ قال : الملائكة .

---

(١) زيادة من م ، أ ، والبخارى .

(٢) صحيح البخارى برقم (١٨٣٠) ، وصحيح مسلم برقم (٢٢٣٤) .

(٣) المسند (٦/٣٣٨) .

(٤) صحيح البخارى برقم (٧٦٣) ، وصحيح مسلم برقم (٤٦٢) .

قال :ورُوى عن مسروق ،وأبى الضحى ، ومجاهد ــ فى إحدى الروايات ــ والسّدى ، والربيع ابن أنس ، مثلُ ذلك .

ورُوِىَ عن أبى صالح أنه قال : هى الرسل . وفى رواية عنه : هى الملائكة . وهكذا قال أبو صالح فى ﴿ الْعَاصِفَاتِ ﴾ و ﴿ النَّاشِرَاتِ ﴾ [و ﴿ الْفَارِقَاتِ ﴾] (١) و ﴿ الْمُلْقِيَاتِ ﴾ : أنها الملائكة .

قال الثورى ، عن سلمة بن كُهَيل ، عن مُسلم البَطين ، عن أبى العُبَيدَين قال : سألت ابنَ مسعود عن ﴿ الْمُرْسَلاتِ عُرْفًا ﴾ قال : الريح . وكذا قال فى : ﴿ الْعَاصِفَاتِ عَصْفًا . وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾ : إنها الريح . وكذا قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، وأبو صالح ــ فى رواية عنه ــ وتوقف ابن جرير فى ﴿الْمُرْسَلاتِ عُرْفًا ﴾ ،هل هى الملائكة أرسلت بالعُرْف ، أو كعُرْف الفرَس يتبع بعضهم بعضا ؟ أو : هى الريح إذا هَبَّت شيئا فشيئا ؟ وقطع بأن العاصفات عصفا هى الرياح ، كما قاله ابن مسعود ومن تابعه . وممن قال ذلك فى العاصفات أيضا : على بن أبى طالب (٢) ، والسدى، وتوقف فى ﴿ النَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴾ ، هل هى الملائكة أو الريح ؟ كما تقدم . وعن أبى صالح: أن الناشرات نشرا : المطر .

والأظهر أن :﴿ الْمُرْسَلات ﴾ هى الرياح ، كما قال تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ ﴾ [الحجر: ٢٢]، وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِه ﴾ [الأعراف:٥٧] ، وهكذا العاصفات هى : الرياح ، يقال : عصفت الريح إذا هَبَّت بتصويت ، وكذا الناشرات هى : الرياح التى تنشر السحاب فى آفاق السماء ،كما يشاء الرب عز وجل .

وقوله : ﴿ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا . فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا . عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴾ يعنى : الملائكة . قاله ابن مسعود ، وابن عباس ، ومسروق ، ومجاهد ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، والسّدى ، والثورى . ولا خلاف هاهنا ؛ فإنها تنزل بأمر الله على الرسل ، تفرق بين الحق والباطل ، والهدى والغىّ ، والحلال والحرام ، وتلقى إلى الرسل وحيا فيه إعذار إلى الخلق ، وإنذارٌ لهم عقابَ الله إن خالفوا أمره .

وقوله : ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِع ﴾ : هذا هو المقسم عليه بهذه الأقسام ، أى : ما وعدتم به من قيام الساعة ، والنفخ فى الصور ، وبعث الأجساد ،وجمع الأولين والآخرين فى صعيد واحد ، ومجازاة كل عامل بعمله ، إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، إن هذا كله ﴿ لَوَاقِع ﴾ أى : لكائن لا محالة .

ثم قال : ﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴾ أى : ذهب ضوؤها ،كقوله : ﴿ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴾ [التكوير:٢] ، وكقوله : ﴿ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴾ [الانفطار:٢] .

﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَت ﴾ أى: انفطرت وانشقت ، وتدلت أرجاؤها ، ووَهَت أطرافها .

﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَت ﴾ أى : ذُهِب بها ، فلا يبقى لها عين ولا أثر ، كقوله : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ

(١) زيادة من أ .

(٢) فى أ : « على بن أبى طلحة » .

الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا . فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا . لا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا ﴾ [طه: ١٠٥ـ١٠٧] ، وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٧] .

وقوله : ﴿ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴾ : قال العوفى ، عن ابن عباس : جمعت . وقال ابن زيد : وهذه كقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ ﴾ [المائدة: ١٠٩]. وقال مجاهد : ﴿ أُقِّتَتْ ﴾ : أجلت .

وقال الثورى ، عن منصور، عن إبراهيم: ﴿ أُقِّتَتْ ﴾: أوعدت. وكأنه يجعلها كقوله: ﴿ وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٦٩].

ثم قال : ﴿ لأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ . لِيَوْمِ الْفَصْلِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ . وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ ، يقول تعالى : لأى يوم أجلت الرسل وأرجئ أمرها ؟ حتى تقوم الساعة ، كما قال تعالى : ﴿ فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ . يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٧، ٤٨] . وهو يوم الفصل ، كما قال : ﴿ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴾ .

ثم قال معظما لشأنه : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ . وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ أى : ويل لهم من عذاب الله غدا . وقد قدمنا فى الحديث أن «ويل» : واد فى جهنم . ولا يصح .

﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ (١٦) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِينَ (١٧) كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (١٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٩) أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (٢١) إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (٢٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٢٤) أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا (٢٦) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا (٢٧) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٢٨) ﴾ .

يقول تعالى : ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ ﴾ ؟ يعنى : من المكذبين للرسل المخالفين لما جاؤوهم به ، ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِينَ ﴾ أى : ممن أشبههم ؛ ولهذا قال : ﴿ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ . وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾. قاله ابن جرير(١) .

ثم قال ممتنا على خلقه ومحتجا على الإعادة بالبَدَاءة : ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ ؟ أى : ضعيف حقير بالنسبة إلى قُدرَة البارى عز وجل ، كما تقدم فى سورة « يس» فى حديث بُسْر بن جِحَاش : « ابنَ آدم ، أنّى تُعجزُنى وقد خلقتك من مثل هذه ؟ »(٢) .

---

(١) تفسير الطبرى (٢٩/ ١٤٤) .

(٢) تقدم تخريج الحديث عند تفسير الآية : ٢٦ من سورة «القيامة » .

﴿ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ يعنى : جمعناه فى الرّحِم ،وهو قرار الماء من الرجل والمرأة ، والرحم معد لذلك ، حافظ لما أودع فيه من الماء .

وقوله : ﴿ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ يعنى : إلى مدة معينة من ستة أشهر أو تسعة أشهر ؛ ولهذا قال : ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ . وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ .

ثم قال : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا. أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴾ : قال ابن عباس : ﴿ كِفَاتًا ﴾ : كنًّا . وقال مجاهد : يُكَفتُ المَيت فلا يُرَى منه شىء . وقال الشعبى : بطنها لأمواتكم ،وظهرها لأحيائكم . وكذا قال مجاهد وقتادة .

﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ ﴾ يعنى : الجبال ، أرسى بها الأرض لئلا تميد وتضطرب .

﴿ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴾ : عذبا زُلالا من السحاب ، أو مما أنبعه الله من عيون الأرض .

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ أى : ويل لمن تأمل هذه المخلوقات الدالة على عظمة خالقها ، ثم بعد هذا يستمر على تكذيبه وكفره .

﴿ انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٩) انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ (٣٠) لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (٣١) إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ (٣٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٣٤) هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ (٣٥) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٣٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٣٧) هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ (٣٨) فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (٣٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٠) ﴾ .

يقول تعالى مخاطبا للكفار المكذبين بالمعاد والجزاء والجنة والنار ، أنهم يقال لهم يوم القيامة : ﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ . انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴾ يعنى : لَهَبَ النار إذا ارتفع وصَعَدَ معه دخان ، فمن شدته وقوته أن له ثلاث شعب ، ﴿ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴾ أى : ظل الدخان المقابل للهب لا ظليل هو فى نفسه ، ولا يغنى من اللهب ، يعنى : ولا يقيهم حر اللهب .

وقوله : ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴾ أى : يتطاير الشرر من لهبها كالقصر . قال[1] ابن مسعود: كالحصون . وقال ابن عباس وقتادة ، ومجاهد ، ومالك عن زيد بن أسلم ، وغيرهم : يعنى أصول الشجر .

﴿ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴾ أى : كالإبل السود . قاله مجاهد ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك . واختاره ابن جرير .

وعن ابن عباس ،ومجاهد ، وسعيد بن جبير : ﴿ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴾ يعنى: حبال السفن . وعنه ـ

(١) فى م : « قاله » .

أعنى ابن عباس ــ : ﴿ جِمالاتٌ صُفْرٌ ﴾ : قطع نحاس(١) .

وقال البخارى : حدثنا عمرو بن على ،حدثنا يحيى ،أخبرنا سفيان ، عن عبد الرحمن بن عابس قال : سمعت ابن عباس : ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴾ ، قال : كنا نعمد إلى الخشبة ثلاثة أذرع وفوق ذلك ، فنرفعه للشتاء ، فنسميه القَصَرَ ، ﴿ كَأَنَّهُ جِمَالاتٌ صُفْرٌ ﴾ : حبال السفن ، تجمع حتى تكون كأوساط الرجال (٢) ،﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿ هَذَا يَوْمُ لا يَنطِقُونَ ﴾ أى : لا يتكلمون . ﴿ وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ أى : لا يقدرون على الكلام،ولا يؤذن لهم فيه ليعتذروا ، بل قد قامت عليهم الحجة ،ووقع القولُ عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون. وعرصات القيامة حالات ، والرب تعالى يخبر عن هذه الحالة تارة ، وعن هذه الحالة تارة ؛ ليدل على شدّة الأهوال والزلازل يومئذ . ولهذا يقول بعد كل فصل من هذا الكلام : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ .

وقوله : ﴿ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالأَوَّلِينَ . فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴾ : وهذه مخاطبة من الخالق لعباده يقول لهم : ﴿ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالأَوَّلِينَ ﴾ يعنى : أنه جمعهم بقدرته فى صعيد واحد ، يُسمعُهم الداعى ويَنفُذهم البصر .

وقوله : ﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴾ : تهديد شديد ووعيد أكيد ، أى : إن قدرتم على أن تتخلصوا من قبضتى ،وتنجُوا من حكمى فافعلوا ، فإنكم لا تقدرون على ذلك ، كما قال تعالى : ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ ﴾ [الرحمن:٣٣] ، وقال تعالى : ﴿ وَلا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا ﴾ [هود:٥٧] ، وفى الحديث : « يا عبادى ، إنكم لن تَبلُغوا نَفْعِى فتنفعونى ، ولن تبلغوا ضرى فتضرونى » .

وقد قال ابن أبى حاتم : حدثنا على بن المنذر الطريقى الأودى ، حدثنا محمد بن فضيل ، حدثنا حُصَين بن عبد الرحمن ، عن(٣) حسان بن أبى المخارق ، عن أبى عبد الله الجَدَلى قال : أتيت بيت المقدس ، فإذا عُبادة بن الصامت ،وعبد الله بن عمرو ، وكعب الأحبار يتحدثون فى بيت المقدس،فقال عبادة : إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين بصعيد واحد ، ينفذهم البصر ويُسمعهم الداعى، ويقول الله : ﴿ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالأَوَّلِينَ . فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴾ ، اليوم لا ينجو منى جبار عنيد ، ولا شيطان مريد . فقال عبد الله بن عمرو (٤): فإنا نحدث يومئذ أنه يخرج عُنُق من النار فتنطلق حتى إذا كانت بين ظهرانى الناس نادت : أيها الناس ، إنى بُعثتُ إلى ثَلاثَة أنا أعرف بهم من الأب بولده ومن الأخ بأخيه، لا يُغَيّبهم عنى وَزَر ، ولا تُخفيهم عنى خافية : الذى جعل مع الله إلها آخر ،وكلّ جبار عنيد ، وكلّ شيطان مريد . فتطوى عليهم فتقذف بهم فى النار قبل الحساب بأربعين سنة (٥) .

(١) فى م : « النحاس » .

(٢) صحيح البخارى برقم (٤٩٣٣) .

(٣) فى م : « ابن » . (٤) فى م : « عمر » .

(٥) ورواه ابن أبى شيبة فى المصنف (١٣/ ١٧٠) عن محمد بن فضيل به نحوه .

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (٤١) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٢) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ (٤٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٥) كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ (٤٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٧) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ (٤٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٩) فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (٥٠) ﴾ .

يقول تعالى مخبراً عن عباده المتقين(١) الذين عبدوه بأداء الواجبات ، وترك المحرمات : أنهم يوم القيامة يكونون فى جنات وعيون ، أى : بخلاف ما أولئك الأشقياء فيه ، من ظل اليحموم ، وهو الدخان الأسود المنتن .

﴿ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ أى : ومن سائر أنواع الثمار ، مهما طلبوا وجدوا . ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أى : يقال لهم ذلك على سبيل الإحسان إليهم .

ثم قال تعالى مخبراً خبراً مستأنفاً : ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ ﴾ أى : هذا جزاؤنا لمن أحسن العمل ، ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ .

وقوله : ﴿ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴾ : خطاب للمكذبين بيوم الدين ، وأمَرَهم أمر تهديد ووعيد فقال تعالى : ﴿ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً ﴾ أى : مدة قليلة قريبة قصيرة ، ﴿ إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴾ أى : ثم تساقون إلى نار جهنم التى تقدم ذكرها ، ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ ، كما قال تعالى : ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [لقمان: ٢٤] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ .مَتَاعٌ فِى الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [يونس: ٦٩، ٧٠] .

وقوله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ ﴾ أى : إذا أمر هؤلاء الجهلة من الكفار أن يكونوا من المصلين مع الجماعة ، امتنعوا من ذلك واستكبروا عنه ؛ ولهذا قال : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ .

ثم قال : ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ ؟ أى: إذا لم يؤمنوا بهذا القرآن ،فبأى كلام يؤمنون به؟! كقوله تعالى : ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الجاثية: ٦] .

قال ابن أبى حاتم : حدثنا ابن أبى عمر ، حدثنا سفيان ، عن إسماعيل بن أمية : سمعت رجلا أعرابيا بَدَويا يقول : سمعت أبا هريرة يرويه إذا قرأ : ﴿ وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا ﴾ ، فقرأ : ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ ؟ فليقل : آمنت بالله وبما أنزل .

وقد تقدم هذا الحديث فى سورة « القيامة » (٢) .

آخر تفسير سورة « والمرسلات » [ولله الحمد والمنة] (٣)

(١) فى أ : « المؤمنين » .

(٢) تقدم تخريج الحديث عند تفسير الآية الأخيرة من سورة القيامة من رواية الترمذى وأبى داود .

(٣) زيادة من م ، أ .

سورة المرسلات

مكّيّة، وهي خمسون آيةً.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ١ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ٣ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ٤ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ٥ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ٧ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ٩ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ١١ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ١٢ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ١٣ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ١٤ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٥﴾

﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا * فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا * وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا * فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا * فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾ إقسامٌ مِن الله عزّ وجلّ بطوائفَ مِن الملائكة أرسلهنّ بأوامره فعصفنَ في مضيّهنّ عصفَ الرياح مُسارعةً في الامتثال بالأمر، وبطوائفَ أخرى نشرنَ أجنحتهنّ في الجوّ عند انحطاطهنّ بالوحي، أو نشرنَ الشرائع في الأقطار، أو نشرنَ النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أوحَين ففرّقنَ بين الحقّ والباطل فألقينَ ذِكرًا إلى الأنبياء. ﴿عُذۡرًا﴾ للمُحقّين ﴿أَوۡ نُذۡرًا﴾ للمُبطلين.

/ ولعلّ تقديمَ نشرِ الشرائع ونشرِ النفوس والفَرقِ على الالتقاء للإيذان بكونها غايةً للإلقاء حقيقةً بالاعتناء بها، أو للإشعار بأنّ كلًّا مِن الأوصاف المذكورة مستقِلّ بالدلالة على استحقاق الطوائف الموصوفة بها للتفخيم والإجلالِ بالإقسام بهنّ، ولو جيء بها على ترتيب الوقوع لَربّما فُهِم أنّ مجموعَ الإلقاء والنّشر والفَرْق هو الموجِب لِما ذُكر مِن الاستحقاق. [٢٥٢ظ]

أو إقسامٌ برياحِ عذاب أرسلهنّ فعصفنَ وبرياح رحمةٍ نشرنَ السحاب في الجوّ ففرّقن بينه، كقوله تعالى: ﴿وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفٗا﴾ [الروم، ٤٨/٣٠]، أو بسحائبَ نشرنَ الموات ففرّقن كلّ صنف منها عن سائر الأصناف بالشكل واللون وسائر الخواصّ،

أو فرّقن بين مَن يشكر الله تعالى وبين مَن يكفر به، فألقين ذِكرًا إمّا عُذرًا للمعتذِرين إلى الله تعالى بتوبتهم واستغفارهم عند مشاهدتهم لآثار رحمته تعالى في الغيث ويشكرونها، وإمّا إنذار للذين يكفرونها وينسبونها إلى الأنواء. وإسنادُ إلقاء الذِّكر إليهنّ لكونهنّ سببًا في حصوله إذا شكرتَ النعمة فيهنّ أو كفرت.

أو إقسامٌ بآيات القرآن المرسَلة إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فعصفنَ سائر الكتب بالنسخ ونشرنَ آثار الهدى في مشارق الأرض ومغاربها وفرّقن بين الحقّ والباطل، فألقين ذِكر الحقّ في أكناف العالمين. والعُرف إمّا نقيض النُّكر وانتصابُه على العِلّة، أي: أرسلنا للإحسان والمعروف، فإنّ إرسال ملائكةِ العذاب معروف للأنبياء عليهم السلام والمؤمنين، أو بمعنى المُتابعة، مِن "عُرف الفرَس"، وانتصابُه على الحاليّة. و"العُذر" و"النُّذر" مصدران مِن "عَذَر" إذا محا الإساءة ومِن "أنذَر" إذا خوّف، وانتصابهما على البدليّة مِن ﴿ذِكۡرًا﴾، أو على العِلّيّة، وقُرئا بالتثقيل.[1]

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ﴾ جواب للقسم، أي: إنّ الذي توعدونه مِن مجيء القيامة كائنٌ لا محالةَ.

[٣٥٣و] / ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ﴾ مُحيَت ومُحِقت أو ذُهِب بنورها.

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ﴾ صُدعت وفُتحت فكانت أبوابًا.

﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ﴾ جُعلت كالحبّ الذي يُنسَف بالمِنسَف، ونحوه ﴿وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا﴾ [الواقعة، ٥/٥٦]. وقيل: أُخِذت مِن مقارّها بسرعة مِن "انتسَفتُ الشيءَ" إذا اختطفتَه.[2] وقُرئ: "طُمِّسَتْ" و"فُرِّجَتْ" و"نُسِّفَتْ"[3] مُشدَّدةً.

﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ﴾ أي: عُيِّن لهم الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على أمَمهم وذلك عند مجيئه وحضوره؛ إذ لا يتعيَّن لهم قبله، أو بلغوا المِيقات

---

١ قرأ بضمّ الذال مِن الأولى رَوح، وقرأ بضمّ الذال مِن الثانية نافع وابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب وأبو بكر. النشر لابن الجزري، ٢/٢١٧، ٣٩٦.

٢ القول في الكشّاف للزمخشري، ٤/٥١١.

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مِقسَم وعمرو بن ميمون. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٩٨؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٨٧٢.

الذي كانوا ينتظرونه. وقُرئ: "وُقِّتَتْ"[١] على الأصل، وبالتخفيف فيهما.[٢]

﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ مقدَّر بقول هو جواب لـ﴿إِذَا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾، أو حال مِن مرفوع ﴿أُقِّتَتْ﴾، أي: يقال: لأيّ يوم أخِّرت الأمور المتعلِّقة بالرسل، والمرادُ تعظيم ذلك اليوم والتعجيبُ مِن هوله.

وقوله تعالى: ﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ﴾ بيان ليوم التأجيل، وهو اليوم الذي يُفصَل فيه بين الخلائق.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ ﴿مَا﴾ مبتدأ ﴿أَدْرَىٰكَ﴾ خبره، أي: أيّ شيء جعلك داريًا ما هو فوُضع موضعَ الضمير ﴿يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ لزيادة تفظيعٍ وتهويلٍ، على أنّ ﴿مَا﴾ خبر و﴿يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ مبتدأ، لا بالعكس كما اختاره سيبويهِ؛[٣] لأنّ محطّ الفائدة بيانُ كون يوم الفصل أمرًا بديعًا هائلًا لا يُقادَر قَدْره ولا يُكتنه كُنْهه كما يُفيده خبريّة ﴿مَا﴾، لا بيانُ كون أمر بديع مِن الأمور يومَ الفصل، كما يُفيده عكسه.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: في ذلك اليوم الهائل. و﴿وَيْلٌ﴾ في الأصل مصدر منصوب سادّ مَسدّ فعله، لكن عُدل به إلى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك ودوامه للمدعوّ عليه، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ظرفه أو صفته.

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾﴾

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ كقوم نوحٍ وعادٍ وثمودَ لتكذيبهم به. وقُرئ: "نَهْلِكِ"[٤] بفتح "النون" مِن "هَلَكَه" بمعنى أهْلَكه.

﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ﴾ / بالرفع على "ثمّ نحن نُتبعهم الآخِرين مِن نظرائهم السالكين لمَسلَكهم في الكفر والتكذيب" وهو وعيد لكفّار مكّة. وقُرئ: [٢٥٣ظ]

---

[١] قرأ بها أبو عمرو وابن وردان وابن جمّاز. النشر لابن الجزري، ٢/٣٩٦.

[٢] قرأ بها أبو جعفر بخلاف عنه. النشر لابن الجزري، ٢/٣٩٧.

[٣] انظر: كتاب سيبويه، ١/١٣٤.

[٤] قراءة شاذّة، مرويّة عن قتادة. شواذ القرآن لابن خالويه، ص ١٦٧.

"ثُمَّ سَنُتْبِعُهُمْ"،[١] وقُرئ: "نُتْبِعْهُمْ"[٢] بالجزم عطفًا على ﴿نُهْلِكِ﴾، فيكون المراد بـ﴿ٱلْآخِرِينَ﴾ المتأخِرين هلاكًا مِن المذكورين كقوم لوطٍ وشعيبٍ وموسى عليهم السلام.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الفعل الفظيع ﴿نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: سُنّتنا جارية على ذلك.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم إذ أهلكناهم ﴿لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ بآيات الله تعالى وأنبيائه، وليس فيه تكرير لِما أنّ الويل الأوّل لعذاب الآخرة وهذا لعذاب الدنيا.

﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم﴾ أي: ألم نُقدِّركم ﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ أي: مِن نطفة قذِرة مَهينة.

﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ هو الرَّحِم.

﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ إلى مِقدار معلوم مِن الوقت قدّره الله تعالى للولادة تسعةَ أشهر، أو أقلّ منها، أو أكثرَ.

﴿فَقَدَرْنَا﴾ أي: فقدّرناه، وقد قُرئ مُشدَّدًا،[٣] أو فقدرنا على ذلك على أنّ المراد بالقُدرة ما يقارِن وجود المقدور بالفعل. ﴿فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ أي: نحن.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ بقُدرتنا على ذلك، أو على الإعادة.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ الكِفات اسم ما يُكفَتُ، أي: يُضمّ ويُجمَع، مِن "كَفَت الشيءَ" إذا ضمّه وجمَعه، كالضِّمام والجِماع لِما يُضمّ ويُجمَع، أي:

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦٧.

٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن الأعرج والزّعفرني وأبي حَيْوة، وابن مسلم عن يعقوب، ونُعيم عن أبي عمرو. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٩٨؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٨٧٣.

٣ قرأ بها نافع والكسائي وأبو جعفر. النشر لابن الجزري، ٢/٣٩٧.

ألم نجعلها كِفاتًا تكفِتُ. ﴿أَحْيَآءً﴾ كثيرةً على ظهرها ﴿وَأَمْوَٰتًا﴾ غيرَ محصورة في بطنها. وقيل: هو مصدر نُعت به للمبالغة. وقيل: جَمْع "كافت" كـ"صائم" و"صِيام"، أو "كُفُتٍ" وهو الوعاء، أجريَ على الأرض باعتبار بقاعها.[١] وقيل: تنكير ﴿أَحْيَآءً﴾ و﴿أَمْوَٰتًا﴾؛ لأنّ أحياء الإنس وأمواتَهم بعض الأحياء والأموات. وقيل: انتصابُهما على الحاليّة مِن محذوف، أي: كِفاتًا تكفتُكم أحياءً وأمواتًا.[٢]

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ أي: جبالًا ثوابتَ ﴿شَٰمِخَٰتٍ﴾ طِوالًا شواهقَ، ووَصْفُ جمع المذكّر بجمع المؤنّث في غير العقلاء مُطّرد كـ"داجن" و"دواجن" و﴿أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البقرة، ١٩٧/٢]. وتنكيرُها للتفخيم أو للإشعار / بأنّ فيها ما لم يُعرَف. [٢٥٤و]

﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾ بأن خلقنا فيها أنهارًا ومنابعَ.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ بأمثال هذه النِّعَم العظيمة.

﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿ٱنطَلِقُوٓا۟﴾ أي: يقال لهم يومئذ للتوبيخ وللتقريع: انطلقوا ﴿إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ في الدنيا مِن العذاب.

﴿ٱنطَلِقُوٓا۟﴾ خصوصًا ﴿إِلَىٰ ظِلٍّ﴾ أي: ظلّ دخانِ جهنّم، كقوله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ [الواقعة، ٤٣/٥٦]. وقُرئ: "انْطَلَقُوا"[٣] على لفظ الماضي إخبارًا بعد الأمر عن عملهم بموجَبه لاضطرارهم إليه طوعًا أو كرهًا.

﴿ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾ يتشعّب لعِظَمه ثلاث شُعَب كما هو شأن الدّخان العظيم، تراه يتفرّق ذوائبَ. وقيل: يخرج لسان مِن النار، فيُحيط بالكفّار كالسُّرادق،

---

١ القولان في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٤٨٤/٣.
٢ القولان في الكشّاف للزمخشري، ٥١٢/٤.
٣ قرأ بها رُويس. النشر لابن الجزري، ٣٩٧/٢.

ويتشعَّب مِن دخانها ثلاث شُعَب فتُظلُّهم حتّى يفرَغ مِن حسابهم، والمؤمنون في ظل العرش.[١] قيل: خصوصيّة الثلاث إمّا لأنّ حِجاب النفس عن أنوار القدس الحسُّ والخيال والوهم، أو لأنّ المُؤدّي إلى هذا العذاب هو القوّة الوهميّة الشيطانيّة الحالّة في الدِّماغ والقوّة الغضبيّة السبُعيّة التي عن يمين القلب والقوّة الشَّهويّة البهيميّة التي عن يساره، ولذلك قيل: تقِف شُعبة فوق الكافر وشُعبة عن يمينه وشُعبة عن يساره.[٢]

﴿لَا ظَلِيلٍ﴾ تهكُّم بهم أو ردٌّ لِما أوهمه لفظ الظلّ. ﴿وَلَا يُغْنِي مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ أي: غيرُ مُغنٍ لهم مِن حرّ اللهب شيئًا.

﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ﴾ أي: كلّ شررة كالقَصْر مِن القصور في عِظَمها. وقيل: هو الغليظ مِن الشجر، الواحدة "قَصْرة" نحو "جَمْر وجَمْرة".[٣] وقُرِئ: "كالقَصَر"[٤] بفتحتين، وهي أعناق الإبل أو أعناق النخل، نحو "شَجَرة وشَجَر". وقُرِئ: "كَالقُصُرِ"[٥] بمعنى القُصور / كـ"رُهُن" و"رُهْن". وقُرِئ: "كَالقِصَرِ"[٦] جمعُ "قَصَرة". [٢٥٤ظ]

﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ﴾ قيل: هو جَمْع "جَمَل" والتاء لتأنيث الجمع، يقال: جَمَل وجِمال وجِمالة.[٧] وقيل: اسم جَمْع كـ"الحِجارة".[٨] ﴿صُفْرٌ﴾ فإنّ الشَّرار لِما فيه مِن الناريّة يكون أصفرَ. وقيل: سُود لأنّ سواد الإبل يضرب إلى الصُّفرة، والأوّل تشبيه في العِظَم، وهذا في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط والحركة.[٩]

---

١ القول في الكشّاف للزمخشري، ٥١٢/٤.

٢ القول في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٤٨٥/٣.

٣ القول في الكشّاف للزمخشري، ٥١٢/٤.

٤ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن عبّاس وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة وإبراهيم بن أبي عبلة وابن مَقسَم. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦٧؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٩٩؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٨٧٥.

٥ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود وابن عبّاس. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦٧؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٨٧٥.

٦ قراءة شاذّة، مرويّة عن سعيد بن جبير وابن عبّاس. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦٧؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٩٩.

٧ القول في الكشّاف للزمخشري، ٥١٢/٤.

٨ القول في اللباب لابن عادل، ٨٠/٢٠.

٩ القول في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٤٨٥/٣.

وقُرئ: "جِمَالَاتٌ"[١] جَمْع "جِمال" أو "جِمالة"، وقُرئ: "جُمَالَاتٌ"[٢] جمع "جُمَالَة" وقد قُرئ بها،[٣] وهي الحبل العظيم مِن حِبال السفن وقُلوس[٤] الجسور، والتشبيه في امتداده والتفافه.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۞ هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ إشارة إلى وقت دخولهم النار، أي: هذا يوم لا ينطقون فيه بشيء لِما أنّ السؤال والجواب والحساب قد انقضت قبل ذلك، ويوم القيامة طويل له مواطنُ ومواقيتُ ينطقون في وقت دون وقت فعُبّر عن كلّ وقت بـ﴿يَوۡمُ﴾، أو لا ينطقون بشيء ينفعهم فإنّ ذلك كلا نُطقٍ. وقُرئ بنصب "اليوم"،[٥] أي: هذا الذي فُصِّل واقع يومَ لا ينطقون.

﴿وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ﴾ عطفٌ على ﴿يُؤۡذَنُ﴾ منتظِم في سِلك النفي، أي: لا يكون لهم إذن واعتذار متعقّب له مِن غير أن يُجعَل الاعتذار مُسبَّبًا عن الإذن، كما لو نُصب.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۞ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ﴾ بين الحقّ والباطل والمُحِقّ والمُبطِل. ﴿جَمَعۡنَٰكُمۡ﴾ خطاب لأمّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم. ﴿وَٱلۡأَوَّلِينَ﴾ مِن الأمَم، وهذا تقرير وبيان للفصل.

﴿فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ فَكِيدُونِ﴾ فإنّ جميع مَن كنتُم تُقلّدِونهم وتقتدون بهم حاضرون، وهذا تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا وإظهارٌ لعجزهم.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ حيث ظهر ألّا حيلة لهم في الخلاص مِن العذاب.

---

١ قرأ بها نافع وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب وأبو جعفر وأبو بكر. النشر لابن الجزري، ٣٩٧/٢.

٢ قرأ بها رُويس. النشر لابن الجزري، ٣٩٧/٢.

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي حَيْوَة وحُميد. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦٧؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٨٧٦.

٤ القلوس جمع قَلْس: وهو الحبل الضخم مِن ليف أو خُوص. لسان العرب لابن منظور، «قلس».

٥ قراءة شاذّة، مرويّة عن الأعرج والأعمش وأبي حَيْوَة وابن أبي عبلة والزّعفراني وحُميد وهُرمز وزيد بن عليّ. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦٧؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٩٩؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٨٧٧.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ مِن الكفر والتكذيب ﴿فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾.
[٢٥٥و] / أي: مستقِرُّون في فنون الترفُّه وأنواع التنعُّم.

﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ مقدَّر بقولٍ هو حال مِن ضمير ﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾ في الخبر، أي: مقولًا لهم: كلوا واشربوا هنيئًا بما كنتُم تعملونه في الدنيا مِن الأعمال الصالحة.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ الجزاء العظيم ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: في عقائدهم وأعمالهم، لا جزاءً أدنى منه.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ حيث نال أعداؤهم هذا الثواب الجزيل، وهم بقُوا في العذاب المخلَّد الوَبيل.

﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾ مقدَّر بقولٍ هو حال مِن ﴿ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾، أي: الويل ثابت لهم مقولًا لهم ذلك تذكيرًا لهم بحالهم في الدنيا، وبما جنَوا على أنفسهم مِن إيثار المتاع الفاني عن قريب على النعيم الخالد، وعُلِّل ذلك بإجرامهم دلالةً على أنّ كلّ مجرم مآله هذا. وقيل: هو كلام مستأنَف خُوطب به المكذِّبون في الدنيا بعد بيان مآل حالهم،[١] وقُرِّر ذلك بقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ لزيادة التوبيخ والتقريع.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟﴾ أي: أطيعوا الله واخشعوا وتواضعوا له بقَبول وحيه واتّباع دينه وارفُضوا هذا الاستكبار والنخوة. ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾ لا يخشَعون ولا يقبَلون ذلك، ويُصرُّون على ما هم عليه مِن الاستكبار. وقيل: إذا أُمروا بالصّلاة أو الركوع لا يفعلون؛[٢] إذ رُوي أنّه نزل حين أَمَر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم

---

١ القول في الكشّاف للزمخشري، ٥١٤/٤.
٢ انظر: أنوار التنزيل للبيضاوي، ٤٨٦/٣.

ثقيفًا بالصّلاة فقالوا: لا نُجَبّي فإنّها مَسَبّةٌ علينا، فقال عليه السلام: «لا خيرَ في دين ليس فيه ركوع ولا سجود».[١] وقيل: هو يوم القيامة حين يُدعَون إلى السجود فلا يستطيعون.[٢]

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ وفيه دلالة على أنّ الكفّار مخاطَبون بالفروع في حقّ المؤاخذة.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ﴾ أي: بعد القرآن الناطق بأحاديث الدارين وأخبار النشأتين على نمط بديع مُعجِز مؤسَّس على حُجَج قاطعة / وبراهينَ ساطعة [٢٥٥ظ]
﴿يُؤْمِنُونَ﴾ إذا لم يؤمنوا به. وقُرئ: "تُؤْمِنُوْنَ"[٣] على الخطاب.

عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «مَن قرأ سورة والمرسلات كُتب له أنّه ليس مِن المشركين».[٤]

---

١ الكشف والبيان للثعلبي، ٢٩٥/٢٨؛ الكشّاف للزمخشري، ٥١٤/٤. ومضى قريب منه في تفسير الإسراء، ٧٣/١٧.

٢ القول في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٤٨٦/٣.

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن الأعمش، وابن جرير عن ابن بكّار عن ابن عامر. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٨٧٧.

٤ الكشف والبيان للثعلبي، ٢٦٨/٢٨ (المرسلات، ١/٧٧)؛ الكشّاف للزمخشري، ٥١٤/٤. وهو جزء مِن حديث أُبيّ بن كعب رضي الله عنه في فضائل السور. انظر: الموضوعات لابن الجوزي، ٢٤٠/١.

٧٧

سورة والمُرسَلات

مكية، خمسون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿والمُرسَلاتِ عُرْفًا﴾ أي: الرياحِ مُتتابعةً كعُرف الفرس يتلو بعضه بعضًا ـ ونصبُه على الحال ـ ٢ ـ ﴿فالعاصِفاتِ عَصْفًا﴾: الرياحِ الشديدة، ٣ ـ ﴿والنّاشِراتِ نَشْرًا﴾: الرياحِ تنشر المطر، ٤ ـ ﴿فالفارِقاتِ فَرْقًا﴾ أي: آياتِ القُرآن، تفرق بين الحقّ والباطل والحلال والحرام، ....

سُورَةُ المُرْسَلاتِ

قولُهُ: (أي: الرِّيَاحِ) أخرجَ ابنُ أبي حاتمٍ عن أبي هُريرَةَ قال: المرسَلات: الملائكةُ، وعن أبي صالحٍ أنّه قال في البقيّةِ: الملائكةُ، كذا في «المبهمات»[1]، قالَ القاضي[2]: أقسَمَ بطوائِفَ من الملائكةِ أرسلَهُنَّ اللهُ بأوامرِهِ مُتَتابعةً، فعَصَفت عصفَ الرِّياحِ في امتثالِ الأوامرِ، ونشَرنَ الشَّرائعَ في الأرضِ بما أوحَينَ منَ العِلمِ ففرَقْنَ بين الحقِّ والباطِلِ، فألقَينَ إلى الأنبياءِ ذِكراً.

قولُهُ: (مُتَتَابِعَةً) بكسرِ الباء.

قولُهُ: (عُرْفِ الفَرَسِ) بالنَّصبِ؛ أي: «كعُرفِ الفَرَسِ»، كما في نُسخَةٍ صَحِيحَة، وهو بالضَّم شَعرُ عُنقِ الفَرَس[3].

قولُهُ: (يَتلُو) أي: يتبَعُ.

---

(١) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ١١٤).

ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٨٨٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي. ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٢٧) عن أبي صالح.

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٧٤).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٨٣٦).

٥ ـ ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾ أي: الملائكةِ تَنزل بالوحي إلى الأنبياء، أو الرسلِ يُلقون الوحي إلى الأُمم، ٦ ـ ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ أي: للإعذار والإنذار من الله تعالى ـ وفي قراءة بضمّ ذال «نُذُرًا»، وقُرئ بضمّ ذال «عُذُرًا» ـ ٧ ـ ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ أي: كُفّارَ مكّة من البعث والعذاب ﴿لَوَاقِعٌ﴾: كائن لا محالة.

٨ ـ ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾: مُحِيَ نُورُها، ٩ ـ ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾: شُقّت، ١٠ ـ ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾: فُتّتت وسُيّرت، ١١ ـ ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾، بالواو وبالهمزة بدلاً منها، أي: جُمعت لوقت ـ ١٢ ـ ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ﴾: لِيوم عظيم ﴿أُجِّلَتْ﴾ للشهادة على أُممهم بالتبليغ! ١٣ ـ ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ بين الخلق؟ ويُؤخذ منه جواب «إذا» أي: وقع الفصل بين الخلائق.

قولُهُ: (أو الرُّسُلِ) عطفٌ على: «الملائكة».

قولُهُ: (أي: للإعذارِ) أي: قَطعِ المعذِرَةِ، أو محوِ الإساءَةِ، فنصَبَهما بالعليَّةِ؛ أي: عُذراً للمُحقِّينَ ونَذراً للمُطيعينَ.

قولُهُ: (وفي قِرَاءَةٍ) للحرميَّينِ وشاميٍّ وشُعبَةَ[1].

قولُهُ: (وفي قِرَاءَةٍ) ليعقوبَ بروايَةِ رَوْحٍ من العشرَةِ[2].

قولُهُ: (أي: يَا كُفَّارَ مَكَّةَ) أي: ندائيَّةٌ، فيُنصَبُ ما بعدَهُ، أو تفسيريَّةٌ فيُرفَع.

قولُهُ: (من البَعثِ) و﴿مَا﴾ موصولَةٌ، والرَّاجِعُ مَحذوفٌ، وهو جوابُ القَسَم.

قولُهُ: (مُحِيَ) أو مُحِقَت.

قولُهُ: (فُتِّتَت) أو كالحَبِّ يُنسَفُ بالمِنسَفِ.

قولُهُ: (بالوَاوِ) بَصريٌّ[3].

قولُهُ: (أي: جُمِعَت) يعني: عُيِّنَ لها وَقتُها الذي يحضُرونَ فيه للشَّهادَةِ على الأمَمِ بحصُولِهِ، فإنَّه لا يتعيَّنُ لهم قبلَهُ.

قولُهُ: (لِيَومٍ عَظِيمٍ) أي: يقالُ: لأيِّ يومٍ أُخِّرَت، وضُرِبَ الأجَلُ للجَمعِ، وهو تعظيمٌ لليومِ وتعجيبٌ من هولِهِ.

قولُهُ: (بَينَ الخَلقِ) بيانٌ ليومِ التَّأجيلِ.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٨).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢١٧).

(٣) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٨).

١٤ ـ ﴿وما أدراكَ: ما يَومُ الفَصلِ﴾؟ تهويلٌ لشأنه ـ ١٥ ـ ﴿وَيلٌ يَومَئِذٍ لِلمُكَذِّبِينَ﴾ هذا وعيدٌ لهم.

١٦ ـ ﴿أَلَم نُهلِكِ الأَوَّلِينَ﴾ بتكذيبهم؟ أي: أهلكناهم، ١٧ ـ ﴿ثُمَّ نُتبِعُهُمُ الآخِرِينَ﴾ ممّن كذّبوا ككُفّار مكّة، فنُهلكُهم. ١٨ ـ ﴿كَذَلِكَ﴾: مِثلَ ما فعلنا بالمُكذّبين ﴿نَفعَلُ بِالمُجرِمِينَ﴾: بِكُلِّ مَن أجرم، فيما يُستقبل فنُهلكهم. ١٩ ـ ﴿وَيلٌ يَومَئِذٍ لِلمُكَذِّبِينَ﴾: تأكيد.

٢٠ ـ ﴿أَلَم نَخلُقكُم مِن مَاءٍ مَهِينٍ﴾: ضعيف وهو المنيّ، ٢١ ـ ﴿فَجَعَلنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾: حَرِيز وهو الرَّحِم، ٢٢ ـ ﴿إِلَى قَدَرٍ مَعلُومٍ﴾ وهو وقت الوِلادة، ٢٣ ـ ﴿فَقَدَرنَا﴾ على ذلك؟ ﴿فَنِعمَ القَادِرُونَ﴾ نحن! ٢٤ ـ ﴿وَيلٌ يَومَئِذٍ لِلمُكَذِّبِينَ﴾.

٢٥ ـ ﴿أَلَم نَجعَلِ الأَرضَ كِفَاتًا﴾: مصدرٌ: كفتَ بمعنى: ضمَّ، أي: ضامّةً، ٢٦ ـ ﴿أَحيَاءً﴾ على ظهرها ﴿وَأَموَاتًا﴾ في بطنها، ٢٧ ـ ﴿وَجَعَلنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾: جبالاً مُرتفعاتٍ،.............

قولُهُ: (تَهوِيلٌ) أي: ومن أينَ تعلَمُ كُنهَهُ ولم ترَ مثله.

وقولُهُ تَعالَى: (﴿لِلمُكَذِّبِينَ﴾) أي: بذلك اليَومِ.

قولُهُ: (هَذَا وَعِيدٌ) و﴿وَيلٌ﴾ مَصدَرٌ في الأصلِ منصوبٌ بإضمارِ فعلِهِ، عُدِلَ به إلى الرَّفعِ؛ للدَّلالةِ على ثباتِ الهلاكِ للمَدعوِّ عليه، و﴿يَومَئِذٍ﴾ ظَرفُهُ أو صفَتُهُ.

قولُهُ: (بِتَكذِيبِهِم) كقومِ نوحٍ وعادٍ وثمودَ.

قولُهُ: (تَأكِيدٌ) أو بآياتِ الله وأنبيائِهِ، فليسَ تكريراً؛ مع أنَّ التَّكريرَ للتَّوكيدِ حسَنٌ شائعٌ في كَلامِ العَرَبِ.

قولُهُ: (ضَعِيفٍ) أي: نُطفَةٍ قذرَةٍ مُنتنَةٍ ذليلَةٍ.

قولُهُ: (عَلَى ذَلِكَ) أو على رَدِّ ذلك، كقولِهِ تعالَى: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجعِهِ لَقَادِرٌ﴾ [الطارق: ٨]، ويؤيِّدهُ: ﴿فَنِعمَ القَادِرُونَ﴾، أي: فقدرنَاهُ أطواراً، ويُؤيِّدُه قراءَةُ نافعٍ والكسائيِّ بالتَّشديدِ(١).

قولُهُ تعالَى: (﴿لِلمُكَذِّبِينَ﴾) بقُدرَتِنا على ذلك من الخَلقِ والجَعلِ، أو على الإعادَةِ.

قولُهُ: (مَصدَرُ كَفَت) كـ(كِتَاباً) نُعِتَ به.

قولُهُ: (أي: ضَامَّةً) و﴿أَحيَاءً وَأَموَاتاً﴾ مُنتَصبانِ على المفعوليَّةِ.

قولُهُ: (جِبَالاً) موصوفٌ مُقدَّرٌ، و﴿رَوَاسِيَ﴾؛ أي: ثوابِتَ.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٨).

﴿وأسقيناكم ماءً فُراتًا﴾: عذبًا؟ ٢٨ ـ ﴿وَيلٌ يَومَئذٍ لِلمُكَذِّبينَ﴾.

ويقال للمُكذّبين يومَ القيامة: ٢٩ ـ ٣٠ ـ ﴿انطَلِقُوا إِلَى ما كُنتُم بِهِ﴾ من العذاب ﴿تُكَذِّبُونَ، انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ﴾ هو دُخان جهنّم، إذا ارتفع افترق ثلاثَ فِرَق لعظَمته، ٣١ ـ ﴿لا ظَلِيلٍ﴾: كَنينٍ يُظلّهم من حرِّ ذلك اليوم ﴿ولا يُغني﴾: يردّ عنهم شيئًا ﴿مِنَ اللَّهَبِ﴾ للنار. ٣٢ ـ ﴿إِنَّها﴾ أي: النارَ ﴿تَرمِي بِشَرَرٍ﴾ هو ما تطاير منها ﴿كالقَصْرِ﴾ من البناء في عِظمه وارتفاعه، ٣٣ ـ ﴿كأَنَّهُ جِمالاتٌ﴾: جمع جِمالةٍ جمع جَمَلٍ ـ وفي قراءة: «جِمالةٌ» ـ ﴿صُفرٌ﴾ في هيئتها ولونها. وفي الحديث «شَرارُ النّارِ أسوَدُ كالقِيرِ». والعرب تُسمّي سُودَ الإبل صُفرًا لشَوب سوادها بصُفرة. فقيل: صُفرٌ في الآية بمعنى سُود، لِما ذُكر. وقيل: لا. والشَّرر: جمع شررةٍ. والشرارُ: جمع شَرارةٍ. والقِير: القار. ٣٤ ـ ﴿وَيلٌ يَومَئذٍ لِلمُكَذِّبينَ﴾.

قولُهُ: (عَذباً) بخَلقِ الأنهارِ والمنابعِ فيها.

قولُهُ تعالَى: (﴿لِلمُكَذِّبين﴾) بأمثالِ هذه النِّعَمِ، أو برسولِ هذا المنعِمِ، وكتابِهِ المكرَّمِ.

قولُهُ تعالَى: (﴿انطَلِقُوا﴾) الثّاني؛ أي: خصوصاً، وعن يعقوبَ: (انطَلَقُوا) على الإخبارِ[١] من امتثالِهم للأمرِ اضطراراً.

قولُهُ: (هُوَ دُخَانُ جَهَنَّم) كقولِهِ: ﴿وظِلٍّ من يَحمُوم﴾ [الواقعة: ٤٣].

قولُهُ: (ثَلاثَ فِرَقٍ) قيلَ: شُعبةٌ تقفُ فوقَ الكافِرِ، وشُعبةٌ عن يمينِهِ، وشعبةٌ عن يسارِه.

قولُهُ: (كَنِينٍ) تهكُّمٌ بهم، وردَ لما أوهَمَ لفظُ الظِّلِّ، وتعريضٌ بأنَّ ظلَّهُم غيرُ ظلِّ المؤمنينَ.

قولُهُ: (يَرُدُّ) أي: غيرَ مُغنٍ من حرِّ اللَّهيبِ.

قولُهُ: (هُوَ مَا تَطَايَرَ مِنهَا) أي: كُلُّ شرارَةٍ كالقَصرِ، ويؤيِّدُه أنّه قُرِئَ: (بِشَرَار)[٢].

قولُهُ: (جَمعُ: جَمَلٍ) أو جمعُ: جِمالٍ.

قولُهُ: (ولَونِهَا) وكثرَتِها وتتابُعِها واختِلاطِها وسُرعَةِ حَرَكتِها، وقرأ حمزةُ والكسائيُّ وحَفصٌ: ﴿جِمالَتٌ﴾[٣].

---

(١) أي: بفتح اللام، وهي من رواية رويس عن يعقوب، انظر: «المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٤٥٧)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٣٩٧).

(٢) وهي قراءة شاذة، ونسبت لعيسى بن عمر، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤٩٨).

(٣) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٨).

٣٥ ـ ﴿هذا﴾، أي: يومُ القيامة ﴿يَومُ لا يَنطِقُونَ﴾ فيه بشيء، ٣٦ ـ ﴿ولا يُؤذَنُ لَهُم﴾ في العُذر ﴿فيَعتَذِرُونَ﴾: عطفٌ على «يُؤذن» من غير تسبّب عنه، فهو داخل في حيز النفي، أي: لا إذنَ فلا اعتذار. ٣٧ ـ ﴿وَيلٌ يومَئذٍ لِلمُكَذِّبينَ﴾.

٣٨ ـ ﴿هـذا يَومُ الفَصلِ. جَمَعْناكُـم﴾ ـ أيها المُكذّبون من هذه الأمّة ـ ﴿والأَوَّلِينَ﴾ من المُكذّبين قبلكـم، فتُحاسَـبون وتُعذّبـون جميعًـا. ٣٩ ـ ﴿فـإن كانَ لَكُـم كَيـدٌ﴾: حِيلـة فـي دفـع العـذاب عنكم ﴿فكِيدُونِ﴾: فافعلوها. ٤٠ ـ ﴿وَيلٌ يومَئذٍ لِلمُكَذِّبينَ﴾.

٤١ ـ ﴿إنَّ المُتَّقِينَ في ظِلالٍ﴾ أي: تكاثُفِ أشجارٍ، إذ لا شمسَ يُظَلُّ من حرّها، ﴿وعُيُونٍ﴾ نابعة من الماء، ٤٢ ـ ﴿وفَواكِهَ مِمّا يَشتَهُونَ﴾ ـ فيه إعلام بأن المأكل والمشرب في الجنّة بحسَب شهواتهم بخِلاف الدنيا فبحسَب ما يجد الناس في الأغلب ـ ويقال لهم: ٤٣ ـ ﴿كُلُوا واشرَبُوا هَنِيئًا﴾: حالٌ، أي: مُتهنّئين ـ ﴿بِما كُنتُم تَعمَلُونَ﴾ من الطاعات. ٤٤ ـ ٤٥ ـ ﴿إنّا كَذلِكَ﴾: كما جزَينا المُتّقين ﴿نَجزِي المُحسِنِينَ. وَيلٌ يومَئذٍ لِلمُكَذِّبينَ﴾.

قولُهُ: (بشَيءٍ) من فَرطِ الدَّهشَةِ والحيرَةِ، وهذا في بعضِ المواقِفِ، أو بما ينفَعُ فإنَّ النُّطقَ بما لا ينفَعُ كَلَا نُطقٍ، قيل: أسكتَهُم رؤيَةُ الهيبَةِ وحَياءُ المعصيَةِ.

قولُهُ: (فَلا اعتِذَارَ) يوضِّحُهُ ما في البيضاويِّ(١): عطفَ ﴿فَيَعتَذِرُون﴾ على ﴿يُؤذَن﴾؛ ليدُلَّ على نفيِ الإذنِ والاعتِذارِ عقيبَهُ مُطلَقاً، ولو جعلَهُ جواباً لدَلَّ على أنَّ عدمَ اعتذارِهم لعَدَمِ الإذنِ، وأوهَمَ ذلك أنَّ لهم عُذراً، لكن لم يؤذَنْ لهم فيه، وعن الجُنَيدِ(٢): أنّى لهم أوانُ العُذرِ فيعتَذِرونَ، وأيُّ عُذرٍ لمن أعرَضَ عن مُنعمِهِ وكفرَ وجحدَ نعَمَهُ.

قولُهُ تَعَالَى: (﴿هَذا يَومُ الفَصلِ﴾) أي: بينَ المُحِقِّ والمبطِلِ.

قولُهُ: (فافعَلُوهَا) تقريعٌ لهم على كيدِهِم للمؤمنِينَ في الدُّنيا، وإظهارٌ لعَجزِهِم في العُقبى.

قولُهُ تَعَالَى: (﴿إنَّ المتَّقِين﴾) يعني: من الشِّركِ؛ لأنَّهُم في مُقابلَةِ المكَذِّبينَ مُستقِرُّونَ في أنواعِ النِّعمَة.

قولُهُ: (في الأَغلَبِ) لا حاجَةَ إلى ذِكرِ الأغلَبِ؛ لأنَّ السَّلاطِينَ مَثلاً لم تحصُلْ لهم جميعُ الفَواكِهِ، بل بَعضُها دائِماً.

قولُهُ: (كَمَا جَزَينَا المُتَّقِينَ) فيه أنّه لا مُغايرَةَ بينَ المتَّقينَ والمحسنِينَ، وعلى تقديرِ أنَّ أحدَهُما أخصُّ فلا

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٧٧).

(٢) وانظر: «حقائق التفسير» (٢/ ٣٦٧).

٤٦ ـ ٤٧ ـ ٤٨ ـ ﴿كُلُوا وتَمَتَّعُوا﴾ ـ خِطابٌ للكُفّار في الدنيا ـ ﴿قَلِيلاً﴾ من الزمان وغايتِه إلى الموت. وفي هذا تهديد لهم. ﴿إنَّكُم مُجرِمُونَ ـ وَيلٌ يومَئذٍ لِلمُكَذِّبِينَ ـ وإذا قِيلَ لَهُمُ: اركَعُوا﴾: صلُّوا ﴿لا يَركَعُونَ﴾: لا يُصلّون. ٤٩ ـ ٥٠ ـ ﴿وَيلٌ يومَئذٍ لِلمُكَذِّبِينَ. فبِأيِّ حَدِيثٍ بَعدَهُ﴾ أي: القُرآنِ ﴿يُؤمِنُونَ﴾؟ أي: لا يُمكن إيمانُهم بغيره من كُتب الله بعد تكذيبهم به لاشتماله على الإعجاز الذي لم يَشتمل عليه غيرُه.

يُلائمُهُ التَّشبيهُ مع أنَّ جَزَينا بصيغَةِ الماضي غيرُ ظاهرٍ، فالصَّوابُ: أي: مِثلَ ذلك الجزاءِ نجزِي المحسِنين؛ أي: في العقيدَةِ، والتَّكرارُ باعتبارِ الوصفَينِ، وإشعارٌ بأنَّ الإحسانَ في مُقابلَةِ الإحسانِ.

قولُهُ: (خِطَابٌ) أو حالٌ من المكذِّبينَ؛ أي: الوَيلُ ثابتٌ لهم في حالِ ما يقالُ لهم تذكيراً لهم بحالِهِم في الدُّنيا، وبما جَنوا على أنفُسِهِم من إيثارِ المتاعِ القليلِ على النَّعيمِ المقيمِ، قالَ سَهلٌ[1]: من كانَت هِمَّتُهُ بَطنَهُ وفرجَهُ فقد أظهَرَ خسارَتَه.

قولُهُ: (صَلُّوا) أو اركَعوا في الصَّلاةِ، أو أطيعُوا واخضَعوا، وقيل: هو يومُ القيامَةِ حين يُدعَونَ إلى السُّجودِ فلا يستَطيعونَ.

قولُهُ: (لا يُصَلُّونَ) أو لا يمتثِلونَ، واستَدلَّ به على أنَّ الأمرَ للوجوبِ.

قولُهُ: (أي: القُرآنِ) إذا لم يؤمِنوا به، وهو مُعجِزٌ في ذاتِهِ مُشتمِلٌ على الحُجَجِ الواضِحَةِ والمعاني الشَّريفَةِ، ويُستحَبُّ أن يُقالَ في آخرِ هذه السُّورَةِ: آمَنتُ باللهِ[2]، واللهُ أعلمُ.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير التستري» (ص: ١٨٤).

(٢) روى أبو داود (٨٨٧)، وأحمد في «مسنده» (٧٣٩١)، والحميدي في «مسنده» (١٠٢٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠٢٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «ومن قرأ: والمرسلات، فبلغ: ﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾ [المرسلات: ٥٠]، فليقل: آمنا بالله».
قال البوصيري في «إتحاف الخيرة» (٦/ ٢٩٦): هذا إسناد ضعيف؛ لجهالة التابعي.

سُورَةُ المُرسَلات

وتُسمَّى: سورة العُرْف، وهي مكِّيَّة فقد أخرج البخاريُّ ومسلم والنسائيُّ وابن مردويه عن ابنِ مسعود، قال: بينما نحن مع النبيِّ ﷺ في غارٍ بمنىً إذ نزلت عليه سورة: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ①﴾ فإنَّه ليتلوها وإنِّي لأتلقَّاها مِن فِيْهِ، وإنَّ فاه لرَطْبٌ بها، إذ خرجت علينا حيَّةٌ، فقال النبيُّ ﷺ: «اقتلوها» فابتدرناها فسبقتنا، فدخلت جُحْرها، فقال رسول الله ﷺ: «وُقِيَتْ شرَّكم كما وُقِيْتُم شرَّها»[1].

وعن ابنِ عباس وقتادة ومقاتل أنَّ فيها آيةً مدنيّةً، وهي: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ㊽﴾، وظاهرُ حديث ابنِ مسعود هذا عدمُ استثناء ذلك، وأظهر منه ما أخرجه الحاكم ـ وصحَّحه ـ وابنُ مردويه عنه أيضاً قال: كنَّا مع النبيِّ ﷺ في غارٍ، فنزلت عليه: «والمرسلات» فأخَذْتُها مِن فِيْهِ، وإنَّ فاهُ لرَطْبٌ بها، فلا أدري بأيِّها ختم: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ أو: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ﴾[2].

وآيُها خمسون آيةً بلا خلاف. ومناسَبتُها لِمَا قبلها أنَّه سبحانه لمَّا قال فيما قَبْلُ: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ إلخ، افتتح هذه بالإقسام على ما يدلُّ على تحقيقه وذِكْر وقته وأشراطه.

وقيل: إنَّه سبحانه أَقْسَم على تحقيق جميع ما تضمَّنته السورةُ قَبْلُ مِن وعيد الكافرين الفجَّار، ووَعْد المؤمنين الأبرار، فقال عزَّ مِن قائل:

---

(١) البخاري (١٨٣٠)، ومسلم (٢٢٣٤)، والنسائي في المجتبى ٥/ ٢٠٨ وفي الكبرى (٣٨٥٢) و(٣٨٥٣)، والدر المنثور ٦/ ٣٠٢ والكلام منه.

(٢) المستدرك ٢/ ٢٥١، والدر المنثور ٦/ ٣٠٢ والكلام منه، وأخرجه أيضاً أحمد (٣٥٧٤)، وابن حبان (٧٠٧).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ۝١ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ۝٣ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٥﴾ قيل: أقسم سبحانه بمَن اختاره مِن الملائكة عليهم السلام على ما أخرجه عبد بنُ حميد عن مجاهد، فقيل: المرسلات والعاصفات طوائفُ، والناشرات والفارقات والمُلقِيات طوائف أخرى، فالأُولى طوائفُ أُرْسِلْنَ بأمرِه تعالى وأُمِرنَ بإنفاذه، فعصفن في المضيِّ وأسرعن كما تَعصف الرِّيحُ تخفُّفاً في امتثال الأمر وإيقاع العذاب بالكفرة؛ إنقاذاً للأنبياء عليهم السلام، ونصرةً لهم، والثانية طوائفُ نَشَرْنَ أجنحتهنَّ في الجوِّ عند انحطاطهنَّ بالوحي، فَفَرقنَ بين الحقِّ والباطل، فَأَلْقين ذِكْراً إلى الأنبياء عليهم السلام، ولعلَّ مَن يُلقي الذِّكْرَ لهم غيرُ مختصٍّ بجبريل عليه السلام، بل هو رئيسهم، ويُرشِد إلى هذا حديثُ الرَّصَد[1]، وفي بعض الآثار: نزل إليَّ مَلَكٌ بألوكة[2] مِن ربِّي، فوضع رِجْلاً في السماء، وثنى الأخرى بين يديَّ.

فـ «المرسلات» صفة لمحذوف، والمراد: وكلّ طائفةٍ مُرسَلة، وكذا «الناشرات»، ونُصبَ «عرفاً» على الحال، والمراد: متتابعةً، وكأن الأصل: والمرسلات متتابعة كالعُرْف، وهو عُرْف الدابَّة كالفرس والضَّبُع، أعني: الشَّعَرَ المعروف على قَفاها، فحذف متتابعة؛ لدلالة التشبيه عليه، ثم حذف أداةَ التشبيه مبالغةً، ومن هذا قولهم: جاؤوا عُرْفاً واحداً، إذا جاؤوا يَتْبع بعضهم بعضاً، و: هم عليه كعُرْف الضَّبُع، إذا تألَّبوا عليه. ويؤخذ مِن كلام بعض أنَّ العُرْف في الأصل ما ذُكر، ثم كثر استعماله في معنى التتابع، فصار فيه حقيقةً عرفيَّة.

---

(١) وهو ما رواه مسلم (٢٥٦٧) عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مَدْرَجَتِه ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية. قال: هل لك عليه من نعمة تَرُبُّها؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله عز وجل. قال: فإني رسول الله إليك، بأن الله قد أحبَّك كما أحببته فيه». والمَدْرجة: الطريق. وتربُّها: تقوم بإصلاحها.

(٢) الألوكة والمألُكة: الرسالة. القاموس (ألك) وهذا الخبر لم نقف عليه عند غير المصنف.

أو على أنَّه مفعول له، على أنَّه بمعنى العُرْف الذي هو نقيضُ النُّكْر، أي: والمرسلات للإحسان والمعروف، ولا يُعكِّر على ذلك أنَّ الإرسال لعذاب الكفَّار؛ لأنَّ ذلك إن لم يكن معروفاً لهم، فإنَّه معروف للأنبياء عليهم السلام والمؤمنين الذين انتقم اللهُ تعالى لهم منهم.

وعَطْفُ «الناشرات» على ما قَبْلُ بالواو ظاهرٌ؛ للتغاير بالذات بينهما، وعَطْفُ «العاصفات» على «المرسلات» و«الفارِقات» على «الناشرات» ـ وكذا ما بَعْدُ ـ بالفاء؛ لتنزيل تغاير الصفاتِ منزلةَ تغاير الذات، كما في قوله:

يا لَهْفَ زيَّابَةَ لِلحَارِث الصـ ـصابحِ فالغانمِ فالآيبِ(١)

وهي للدلالة على ترتيب معاني الصفات في الوجود، أي: الذي صبحَ فغنم فآبَ، وترتيبُ مُضيِّ الأمر على الإرسال به والأمر بإنفاذه ظاهر، وأما ترتيب إلقاء الذِّكْر إلى الأنبياء عليهم السلام على الفرق بين الحقِّ والباطل، مع ظهور تأخُّر الفرقِ عن الإلقاء فقيل: لتأويل الفرق بإرادته، فحينئذٍ يتقدَّم على الإلقاء. وقيل: لتقدُّم الفرق على الإلقاء مِن غير حاجة إلى أن يُؤوَّل بإرادته؛ لأنَّه بنفسِ نزولهم بالوحي الذي هو الحقُّ المخالف للباطل الذي هو الهوى ومقتضَى الرأي الفاسد، وإنَّما العلم به متأخِّر، ومِن هذا يظهر ترتيبُ الفَرْقِ على نشر الأجنحة، إذ الحاصل عليه: نَشَرْنَ أجنحتهنَّ للنزول، فنزلن، فألقين، وهو غير ظاهر على ما قَبْله؛ لأنَّ إرادة الفرق تُجامِع النشرَ، وكذا إرادته إذا أُوِّلَ أيضاً بحسب الظاهر، بل ربَّما يقال: إنَّ تلك الإرادة قبل. وقيل: إنَّ الفاء في ذلك للترتيب الرُّتْبي؛ ضرورةَ أنَّ إرادة الفرق أعلى رتبةً من النشر. وقيل: إنَّها فيه وفيما بعده لمجرَّد الإشعار بأنَّ كلًّا مِن الأوصاف المذكورة ـ أعني النشر والفرق ـ مستقلٌّ بالدلالة على استحقاق الطوائف الموصوفة بها للتفخيم والإجلال بالإقسام بهنَّ، فإنَّه لو جِيْءَ بها على ترتيب الوقوع لربَّما فُهِمَ أنَّ مجموعَ الثلاثة المترتِّبة هو الموجب لِمَا ذكر مِن الاستحقاق.

---

(١) البيت سلف ١١/٤٠٩.

واستعمال العاصفات بمعنى المسرعات سرعةَ الريح مجازٌ على سبيل الاستعارة، ولا يَبعُد أن يُرادَ بالعاصفات: المُذْهِبات المُهلِكات بالعذاب الذي أُرسلنَ به مَن أُرسلنَ إليه، على سبيل الاستعارة أيضاً أو المجاز المرسل.

و«عذراً» و«نذراً» في قوله تعالى: ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝﴾ جوّز أن يكونا مصدرين مِن عذر: إذا أزال الإساءة، ومِن أَنْذَر إذا خوّف، جاءا على فُعْلٍ كالشكر والكفر، والأوّل ظاهر؛ لأنَّ فُعْلاً من مصادر الثلاثي، وأما الثاني فعلى خلاف القياس؛ لأنَّ قياس مصدر أَفْعَلَ الإفعال، وقيل: هو اسم المصدر كالطاقة، أو مصدر نَذَر بمعنى أَنْذَرَ، وتُسومحَ فيما تقدَّم. وأن يكونا جمع عذير بمعنى المعذرة، ونذير بمعنى الإنذار. وانتصابهما على العلِّيَّة، والعامل فيهما «الملقيات»، أو «ذكراً»، وهو بمعنى التذكير والعظة بالترغيب والترهيب، أي: فالملقيات ذِكْراً لأجل العذر للمحقِّين، أو لأجل النذر للمبطلين، أو على الحاليَّة مِن «الملقيات» أو الضميرِ المستتر فيها على التأويل، أي: عاذرين أو منذرين، أو على البدليَّة مِن «ذِكْراً» على أنَّ المراد به الوحي، فيكونان بدلَ بعضٍ، أو التذكيرُ والعظةُ فيكونان بدلَ كلٍّ، وأن يكونا وصفين بمعنى عاذرين ومنذرين، فنصبهما على الحاليَّة لا غير.

و«أو» في جميع ذلك للتنويع لا للترديد، ومن ثم قال الدينوري في «مشكل القرآن»: إنَّها بمعنى الواو[1].

وقيل: الثانية: طوائفُ نَشَرنَ الشرائع في الأرض، إلى آخِر ما تقدَّم، ووجِّه العطف بأنَّ المرادَ: أردنَ النشرَ فنزلنَ فأَلقين، واحتيج للتأويل لمكان الإلقاء إلى الأنبياء عليهم السلام، وإلا فهو لا يُحتاج إليه في النشر والفرق؛ لظهور ترتُّب الفرق على النشر، كذا قيل، فلا تغفل.

وقيل: طوائفُ نشرنَ النفوسَ الموتى بالكفر والجهل بما أَوْحَيْنَ ففرقن.. إلخ. والنشر على هذا بمعنى الإحياء، وفيما قبله بمعنى الإشاعة.

وقيل: لا مغايرةَ بين الكُلِّ إلا بالصفات، وهم جميعاً من الملائكة على

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص٤١٤.

الأقوال السابقة، بيدَ أنَّه لم يَعتبر هذا القائل تفسيرَ النشرِ بنشر الأجنحة، فقال: أقسم سبحانه بطوائفَ من الملائكة أَرسلهنَّ عزَّ وجلَّ بأوامره متتابعةً، فعصفنَ عصفَ الرياح في الامتثال، ونَشْرنَ الشرائع في الأرض، أو نشرن النفوسَ الموتى بالجهل بما أَوحينَ مِن العلم، ففرقنَ بين الحقِّ والباطل، فألقين إلى الأنبياء ذِكْراً. وظاهره أيضاً أنَّ الإرسال للأنبياء بالشرائع مِن الأمر والنهي بناءً على أنَّ الأوامر جمع جمع[1] مخصوص بالأمر مقابل النهي، ففي كلامه الاكتفاء، وخصَّ الأمر بالذِّكْر قيل: لأنَّه أهمُّ، مع أنَّه لا يؤدِّي ما يُراد من النهي بصيغته كـ : دع، مثلاً. وقيل في عطف «الناشرات» بالواو دون الفاء، وعطف «الفارقات» به: إنَّ النشرَ عليه بمعنى الإشاعة للشرائع وهو يكون بعد الوحي والدعوة والقبول، ويقتضي زماناً، فلذا جيءَ بالواو ولم يُقرَن بالفاء التعقيبيَّة، وإذا حصل النشر ترتَّب عليه الفرق من غير مُهلة، ولا يتوهَّم أنَّه كان حقّ الناشرات حينئذٍ: ثم؛ لأنَّه لا يتعلَّق القصد ها هنا بالتراخي. ويبقى الكلام في وجه تقديمِ نشرِ الشرائع ـ أو نشرِ النفوس ـ والفرقِ على الإلقاء مع أنهما بعده في الواقع، فقيل: الإيذانُ بكونهما غايةً للإلقاء حقيقة بالاعتناء، أو الإشعارُ بأنَّ كلًّا مِن الأوصاف مستقلٌّ بالدلالة على استحقاق التعظيم كما سمعت، على أنَّ بابَ التأويل واسعٌ فتذكَّر.

وقيل: أقسمَ سبحانه بأفراد نوعين مِن الرياح، فيقدَّر للمرسلات موصوف، وللناشرات موصوف آخر، ويُراد بالمرسلات الرياحُ المرسَلة للعذاب، لأنَّ الإرسال شاعَ فيه، وبالناشرات رياح رحمة، وحاصله أنَّه جلَّ وعلا أقسمَ برياح عذاب أَرسلهنَّ فعصفنَ، ورياحِ رحمة نَشَرْنَ السحاب في الجوِّ ففرقنه على البقاع فألقين ذِكْراً إمَّا عذراً للذين يَعتذرن إلى الله تعالى بتوبتهم واستغفارهم إذا شاهدوا آثارَ رحمته تعالى في الغيث، وإما إنذاراً للذين يكفرون ذلك وينسبونه إلى الأنواء ونحوها، وإسناد إلقاء الذِّكْر إليهنَّ؛ لكونهنَّ سبباً في حصوله إذا شُكرت النعمة فيهنَّ أو كفرت، فالتجوُّز في الإسناد، والمراد بـ «عُرْفاً» متتابعة. أو الناشرات رياح رحمة نَشَرْنَ النباتَ وأَبْرَزْنَه، أي: صِرْنَ سبباً لذلك بنَشْر السحاب وإدراره، ففرقن

---

(١) فوقها في الأصل: صح، ولم تكرر هذه الكلمة في حاشية الشهاب ٨/ ٢٩٥، والكلام منه.

كلَّ صنف منه عن سائر الأصناف بالشَّكْل واللون وسائر الخواصّ، فتسبَّبنَ ذِكْراً إما عذراً للشاكرين وإما نذراً للكافرين.

وقيل: أَقسم سبحانه أوّلاً بالرياح وثانياً بسحائب نَشَرْنَ الموات، ففرقن بين مَن يشكر وبين مَن يكفر، كقوله تعالى: ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجن: ١٦-١٧] فتسببنَ ذِكْراً إمَّا وإمَّا.

وقيل: أقسم جلَّ وعلا بآيات القرآن المرسَلة إلى رسول الله ﷺ فضلاً وإحساناً أو شيئاً بعد شيء؛ لأنَّها نزلت منجَّمة، فعصفن وأذهبنَ سائرَ الكتب بالنَّسْخ، ونشرنَ آثارَ الهدى في مشارق الأرض ومغاربها، وفرقنَ بين الحقِّ والباطل، فألقينَ ذِكْر الحقِّ في أكناف العالمين.

وقيل: أقسم جلَّ جلاله برُسُله من البَشَر أُرسِلوا إحساناً وفضلاً كما هو المذهب الحقُّ، لا وجوباً كما زعم مَن زعم، فاشتدُّوا وعَظُمَ أمرهم ونَشروا دينَهم وما جاؤوا به، ففرقوا بين الحقِّ والباطل، والحلال والحرام، فألقوا ذِكْراً بين المكلَّفين، ويجوز أن يراد على هذا بـ «عرفاً» متابعة.

وقيل: أَقسم تبارك وتعالى بالنفوس الكاملة، أي: المخلوقة على صفة الكمال والاستعداد لقبول ما كلِّفت به وخُلِقت لأجله، المرسلة إحساناً إلى الأبدان لاستكمالها، فعصفنَ[1] وأذهبنَ ما سوى الحقِّ بالنظر في الأدلَّة الحقَّة، ففرقنَ بين الحقِّ المتحقِّق بذاته الذي لا مدخَل للغير فيه وهو واجب الوجود سبحانه، وبين الباطل المعدوم في نفسه، فَرَأَيْن كلَّ شيء هالكاً إلا وجهه، فألقينَ في القلوب والألسنة ومَكَّنَّ فيها ذِكْره تعالى، فليس في قلوبها وألسنتها إلا ذكره عزَّ وجلَّ، أو طَرَحْنَ ذِكْرَ غيره سبحانه عن القلوب والألسنة، فلا ذِكْر فيها لما عداه.

وقيل: الثلاثة الأُوَل: الرياح، والأخيرتان: الملائكة عليهم السلام. وقيل بالعكس، والمناسبة باللطافة وسرعة الحركة. وقيل: الأوَّلتان الملائكة إلا أنَّ

---

(١) في (م): فعصفهن.

المرسلاتِ ملائكة الرحمة، والعاصفاتِ ملائكةُ العذاب، والثلاثة الأخيرة آياتُ القرآن النازلةُ بها الملائكة.

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر من وجهٍ عن أبي صالح أنَّه قال: «المرسلات عُرْفاً»: الرسلُ تُرسَل بالمعروف، «فالعاصفات عصفاً»: الريح، «والناشرات نشراً»: المَطَر، «فالفارقات فَرْقاً»: الرسل[1].

ومن وجه آخر: «المرسلات عرفاً» الملائكة، «فالعاصفات عصفاً» الرياح العواصف، «والناشرات نشراً» الملائكة ينشرون الكُتُبَ ـ أي: كُتُبَ الأعمال كما جاء مصرَّحاً به في بعض الروايات ـ «فالفارقات فَرْقاً» الملائكة يفرقونَ بين الحقِّ والباطل، «فالملقيات ذكراً»: الملائكة أيضاً يجيؤون بالقرآن والكتاب، «عذراً أو نذراً» منه تعالى إلى الناس وهم الرسل يعذرون ويُنذرون[2].

وعن أبي صالح روايات أُخَر في ذلك، وكذا عن أجلَّة الصحابة والتابعين، فعن ابنِ مسعود وأبي هريرة ومقاتل: «المرسلات»: الملائكة أُرسلَت بالعُرْف ـ ضدّ النُّكْر ـ وهو الوحي. وفي أخرى عن ابنِ مسعود أنَّها الرياح، وفسّر «العاصفات»: بالشديدات الهبوب. وروي تفسير «المرسلات» بذلك عن ابنِ عباس ومجاهد وقتادة، وفي أخرى عن ابنِ عباس أنَّها جماعةُ الأنبياء أُرسلَت إفضالاً من الله تعالى على عباده.

وعن ابن مسعود[3]: «الناشرات» الرياح تَنشُر رحمةَ الله تعالى ومطرَه. وروي عن مجاهد وقتادة، وقال الربيع: الملائكة تَنشُر الناس مِن قبورهم. وقال الضحاك: الصُّحُف تنشر على الله تعالى بأعمال العباد. وعليه تكون «الناشرات» على معنى النسب.

وعن ابنِ مسعود وابنِ عباس ومجاهد والضَّحَّاك: الفارقات: الملائكة تفرقُ بين الحقِّ والباطل والحلال والحرام. وقال قتادة والحسن وابنُ كيسان: آياتُ

---

(١) الدر المنثور ٦/ ٣٠٣ وزاد نسبته لأبي الشيخ في العظمة.
(٢) الدر المنثور ٦/ ٣٠٣، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٥٨٧.
(٣) في الأصل و(م): أبي مسعود، والمثبت من المحرر الوجيز ٥/ ٤١٧، والبحر ٨/ ٤٠٤، وعنه نقل المصنف.

القرآن فَرَقت بين ما يحلُّ وما يَحرُم. وعن مجاهد أيضاً: الرياح تَفرق بين السحاب فتُبدِّده.

وعن ابنِ عباس وقتادة والجمهور: الملقيات: الملائكة تُلقي ما حملت مِن الوحي إلى الأنبياء. وعن الربيع: آيات القرآن.

ومن الناس من فسَّر العاصفات بالآيات المُهلِكة كالزلازل والصواعق وغيرها، ومنهم من فسَّر الفارقات بالسحائب الماطرة على تشبيهها بالناقة الفاروق: وهي الحامل التي تَجزعُ حين تَضَع. ومنهم من فسَّرها بالعقول تفرقُ بين الحقِّ والباطل، والصحيح والفاسد.

إلى غير ذلك من الروايات والأقوال التي لا تكاد تنضبط، والذي أخاله أَظْهَرَ كونُ المقسَم به شيئين: المرسلات العاصفات، والناشرات الفارقات الملقيات؛ لشدَّة ظهور العطف بالواو في ذلك، وكونُ الكُلِّ من جنس الريح؛ لأنَّه أوفقُ بالمقام المتضمِّن لأمر الحَشْر والنَّشْر، لما أنَّ الآثارَ المشاهدة المترتِّبة على الرياح ترتُّباً قريباً وبعيداً تنادي بأعلى صوت ـ حتى يكاد يُشبِه صوتَ النفخ في الصُّور ـ على إمكان ذلك وصحَّته ودخوله في حيطة مشيئةِ الله تعالى وعظيم قدرته، ومع هذا الأقوالُ كثيرة لديك وأنتَ غيرُ محجور[1] عليكَ، فاختر لنفسك ما يَحلُو.

وقرأ عيسى: «عُرُفاً» بضمَّتين[2]، نحو نُكُر في نُكْر.

وقرأ ابن عباس: «فالمُلَقِّيَات» بالتشديد[3]، من التلقية، قيل: وهي كالإلقاء: إيصال الكلام إلى المخاطب، يقال: لقَّيته الذِّكْرَ فتلقَّاه. وذكر المهدويُّ أنَّه رضي الله عنه قرأ: «فالمُلَقَّيَات» بفتح اللام وتشديد القاف اسم مفعول، أي: ملقية[4] من الله عزَّ وجلَّ.

---

(١) في (م): مجحود.
(٢) الكشاف ٤/ ٢٠٢، والبحر المحيط ٨/ ٤٠٤.
(٣) القراءات الشاذة ص١٦٧، والمحتسب ٢/ ٣٥٤، والبحر المحيط ٨/ ٤٠٤.
(٤) كذا في الأصل و(م)، وفي البحر ٨/ ٤٠٤ (والكلام منه): تلقته.

وقرأ زيد بن ثابت وابنُ خارجة وطلحة وأبو جعفر وأبو حَيْوَة وعيسى والحسن بخلاف والأعشى[1] عن أبي بكر: «عُذُراً أو نُذُراً» بضمِّ الذالين[2]. وقرأ الحِرْمِيَّان وأبو عامر وأبو بكر وزيد بن عليٍّ وشيبة وأبو جعفر أيضاً بسكون الذال في «عُذْراً» وضمِّها في «نُذُراً»[3]. وقرأ إبراهيم التيمي: «ونُذراً» بالواو[4].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧﴾ جواب للقَسَم، و«ما» موصولة، و«إنَّ» كتبت موصولةً، والعائد محذوف، أي: إنَّ الذي توعدونه مِن مَجيْءِ القيامة كائنٌ لا محالةَ. وجوّز أن يُراد بالموصول جميع ما تضمَّنته السورةُ السابقة، وهو خلاف الظاهر جدًّا.

﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨﴾ أُزيل أَثَرُها بإزالة نورها، أو بإعدام ذاتها وإذهابها بالكليَّة، وكلٌّ مِن الأمرين سيكون، وليس مِن المحال في شيء، وما زعمه الفلاسفة المتقدِّمون في أمر تلك الأجرام واستحالةِ التحلُّل والعَدَم عليها أَوْهَنُ مِن بيت العنكبوت، وما زعمه المعاصرون منهم فيها وإن كان غير ثابت عندنا إلا أنَّ إمكان الطمس عليه في غاية الظهور.

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩﴾ شُقَّت، كما قال سبحانه: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١]، ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ [الفرقان: ٢٥]، وقيل: فُتِحت، كما قال سبحانه: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ [النبأ: ١٩]. وأنشد سيبويه:

الفارِجي بابِ الأمير المُبْهَمِ[5]

ولا مانعَ من ذلك أيضاً سواء كانت السماء جسماً صلباً أو جسماً لطيفاً، وأدلَّة استحالة الخَرْق والالتئام فيها خروق لا تَلتئم.

---

(١) في الأصل و(م): والأعمش، والمثبت من جامع البيان للداني ٢/ ٤٧٢، والبحر ٨/ ٤٠٥ وهو الصواب؛ لأن الراوي عن أبي بكر شعبة بن عياش هو أبو يوسف يعقوب الأعشى، لا الأعمش. ينظر: معرفة القراء الكبار ١/ ٢٨١، وغاية النهاية ١/ ٣٢٥.

(٢) النشر ٢/ ٢١٧، والبحر المحيط ٨/ ٤٠٥.

(٣) التيسير ص٢١٨، والنشر ٢/ ٢١٧، والبحر المحيط ٨/ ٤٠٥.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤١٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٩٨، والبحر المحيط ٨/ ٤٠٥.

(٥) الكتاب ١/ ١٨٥، ونسبه لرجل من بني ضبَّة، والمعنى: ينعت أقواماً أشرافاً لا يحجبون عن الأمراء، ولا تُغلَق دونهم أبوابهم. والفارج: الفاتح. والمبهم: المغلق.

﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠﴾ جُعلَت كالحَبِّ الذي يُنسَف بالمِنْسَف، ونحوه: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ [الواقعة: ٥] ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل: ١٤]، قال في «البحر»: فرَّقتها الرياحُ، وذلك بعد التسيير، وقبل ذلك جعلها هباءً[١].

وقيل: «نُسِفَت»: أُخِذَت من مقارِّها بسرعة، مِن انتسفْتُ الشيءَ: إذا اختطفتَه.

وقرأ عمرو بنُ ميمون: «طُمِّسَت»، و«فُرِّجَت» بتشديد الميم والراء[٢]، وذكر في «الكشاف»[٣] أنَّ الأفعال الثلاثة قُرِئَت بالتشديد.

﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١﴾ أي: بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وهو يوم القيامة، وجوّز أن يكون المعنى: عُيِّن لها الوقتُ الذي تُحضَر فيه للشهادة على الأمم، وذلك عند مجيئه وحصوله، والوجه هو الأول كما قال جارُ الله[٤]، وتحقيقه كما في «الكشف»: أنَّ توقيتَ الشيءِ تحديدُه وتعيينُ وقتِه، فإيقاعه على الذوات بإضمارٍ؛ لأنَّ المؤقَّت هو الأحداث لا الجثث، ويَجِيْء بمعنى جعل الشيء منتهياً إلى وقته المحدود، وعلى هذا يقع عليها دون إضمارٍ إذا كان بينها وبين ذلك الوقت ملابسةٌ، وإنَّما كان الوجهَ لأنَّ القيامة ليست وقتاً يتبيَّن فيه وقتُ الرسل الذي يَحضرون فيه للشهادة، بل هي نفس ذلك الوقت، و«إذا الرسل أُقِّتت» يقتضي ذلك، لأنَّك إذا قلت: إذا أَكرمتَني أكرمتُكَ. اقتضى أن يكون زمان إكرام المخاطب للمتكلِّم، وهو ما دلَّ عليه «إذا» سواءٌ جُعِلَ الظرفُ معمولَه أو معمولَ الجزاء، أي: فلا بُدَّ مِن التأويل، وقد أشير إليه في ضمن التفسير.

وقرأ النخعي والحسن وعيسى وخالد: «أُقِتَتْ» بالهمزة وتخفيف القاف[٥].

وقرأ أبو الأشهب وعمرو بنُ عبيد وأبو عمرو وعيسى أيضاً: «وُقِّتَتْ» بالواو

(١) البحر المحيط ٨/ ٤٠٥.
(٢) القراءات الشاذة ص١٦٧، والبحر المحيط ٨/ ٤٠٥.
(٣) ٤/ ٢٠٣.
(٤) الكشاف ٤/ ٢٠٣.
(٥) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١١٥، والبحر المحيط ٨/ ٤٠٥.

على الأصل[(١)]؛ لأنَّ الهمزة مُبدَلة من الواو المضمومة ضمَّة لازمة، وهو أمرٌ مطَّرد كما بيِّن في محلِّه، وقال عيسى: «وُقِّتَتْ» لغةُ سُفلى مُضَر.

وقرأ عبد الله والحسن[(٢)] وأبو جعفر: «وُقِتَتْ» بواو واحدة وتخفيف القاف[(٣)]، وقرأ الحسن أيضاً: «وُوقِتَتْ» بواوين[(٤)]، على وزن فُوعِلَتْ، و«إذا» في جميع ما تقدَّم شرطيَّة.

وقوله تعالى: ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾﴾ قيل: مقولٌ لقولٍ مقدَّر هو جواب «إذا»، أي: يقال: «لأيِّ يومٍ» إلخ، وجعل التأجيل بمعنى التأخير مِن قولهم: دَيْنٌ مؤجَّل، في مقابل الحالِّ، والضمير لما يشعر به الكلام، والاستفهام للتعظيم والتعجيب مِن هَوْلِ ذلك اليوم، أي: إذا كان كذا وكذا، يقال: لأيِّ يومٍ أُخِّرت الأمور المتعلِّقة بالرسل مِن تعذيب الكفرة وإهانتهم، وتنعيمِ المؤمنين ورعايتهم، وظهور ما كانت الرسل عليهم السلام تذكره مِن الآخرة وأحوالِها، وفظاعة أمورها وأهوالها. وجوّز أن يكون الضمير للأمور المشار إليها فيما قَبْلُ مِن طَمْس النجوم وفَرْج السماء ونَسْف الجبال وتأقيت الرسل، وأن يكون للرسل، إلا أنَّ المعنى على نحو ما تقدَّم.

وقيل: أن يكون القول المقدَّر في موضع الحال مِن مرفوع: «أُقِّتت» أي: مقولاً فيها: لأيِّ يومٍ أُجِّلت، وأن تكون الجملة نفسها مِن غير تقدير قول في موضع المفعول الثاني «لأُقِّتت» على أنَّه بمعنى أُعلمت، كأنَّه قيل: وإذا الرسلُ أُعلمت وقتَ تأجيلها، أي: بمجيئه وحصولِه. وجواب «إذا» على الوجهين؛ قيل: قوله تعالى الآتي: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾، وجاء حذف الفاء في مثله. وقيل: محذوفٌ لدلالة الكلام عليه، أي: وقع الفصل، أو وقع ما تُوعَدون، واختار هذا أبو حيَّان[(٥)]، ويجوز ـ على احتمال كون الجواب: «ويلٌ يومئذٍ للمكذِّبين»، أو

---

(١) التيسير ص٢١٨، والنشر ٢/ ٣٩٦-٣٩٧ عن أبي عمرو، والكلام من البحر ٨/ ٤٠٥.

(٢) في الأصل و(م): عبد الله بن الحَسَن. والمثبت من البحر المحيط ٨/ ٤٠٥ والكلام منه.

(٣) قراءة أبي جعفر في النشر ٢/ ٣٩٧.

(٤) المحتسب ٢/ ٣٤٥، والبحر المحيط ٨/ ٤٠٥.

(٥) البحر المحيط ٨/ ٤٠٥.

تقدير المقدَّر مؤخَّراً ـ كونُ جملة «لأيِّ يومٍ أُجِّلت» اعتراضاً؛ لتهويل شأنِ ذلك اليوم.

وقوله تعالى: ﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾﴾ بدل مِن «لأيِّ يومٍ» مبيّن له، وقيل: متعلّق بمقدَّر، تقديره: أُجِّلت ليومِ الفصل بين الخلائق.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾﴾ أي: أيُّ شيء جَعَلك دارياً ما هو؟ على أنَّ «ما» الأولى مبتدأ، و«أدراك» خبره، و«ما» الثانية خبر مقدَّم، و«يوم» مبتدأ مؤخَّر، لا بالعكس كما اختاره سيبويه؛ لأنَّ محطَّ الفائدة بيانُ كون يوم الفصل أمراً بديعاً لا يُقادَر قَدْره ولا يُكْتنه كُنْهه، كما يفيده خبريَّة «ما»، لا بيان كونِ أمر بديع من الأمور يوم الفصل كما يفيده عكسه، ووضع الظاهر موضعَ الضمير لزيادة التفظيع والتهويل المقصودَيْن من الكلام.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ أي: في ذلك اليوم الهائل، و«ويل» في الأصل مصدر بمعنى هلاك، وكان حقُّه النصبَ بفعلٍ مِن لفظه أو معناه، إلا أنَّه رُفِعَ على الابتداء للدلالة على ثبات الهلاك ودوامِه للمدعوِّ عليه، و«يومئذٍ» ظرفُه أو صفته، فمسوِّغ الابتداء به ظاهر، والمشهور أنَّ مسوِّغَ ذلك كونه للدعاء، كما في ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ٥٤].

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾﴾ كقوم نوح وعاد وثمود، وقرأ قتادة: «نَهْلِك» بفتح النون[1] على أنَّه مِن هَلَكه بمعنى أَهْلَكه، ومنه: هالِك بمعنى مُهْلِك، كما هو الظاهر في قول العجَّاج:

ومَهْمَهٍ هالكِ مَن تَعرَّجا هائلةٍ أهوالُهُ مَن أدْرجا[2]

لئلا يلزمَ حذفُ الضميرِ مع حرف الجَرِّ، أعني «به» أو «فيه»، وليناسب ما في الشطر الثاني.

﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ بالرفع على الاستئناف، وهو وعيدٌ لأهل مكَّة وإخبارٌ

(١) القراءات الشاذة ص١٦٧، والبحر المحيط ٨/ ٤٠٥.
(٢) ديوان العجاج ص٣٣٤-٣٣٥، وورد فيه: أدْلجا، بدل: أدرجا. والرجز سلف ١٥/ ٤٠٠.

عمَّا يقع بعد الهجرة كبدرٍ، كأنَّه قيل: ثم نحن نَفعلُ بأمثالهم من الآخرين مِثْلَ ما فَعَلنا بالأوَّلين، ونَسلُك بهم سبيلهم؛ لأنَّهم كذبوا مِثْلَ تكذيبهم، ويقوِّيه قراءة عبد الله: «ثُمَّ سَنُتْبِعُهُم» بسين الاستقبال[1]، وجوّز العطف على قوله تعالى: «أَلَم نُهْلِك» إلى آخره.

وقرأ الأعرج والعبَّاس عن أبي عمرو: «نُتْبِعْهم» بإسكان العين[2]، فحمل على الجزم والعطف على «نُهْلك»، فيكون المراد «بالآخرين» المتأخِّرين هلاكاً مِن المذكورين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام دون كفَّار أهلِ مكَّة، لأنَّهم بَعْدُ ما كانوا قد أُهلكوا، والعطف على «نُهْلك» يقتضيه، وجوّز أن يكون قد سُكِّن تخفيفاً، كما في: «وما يُشْعِرْكم»[3] [الأنعام: ١٠٩] فهو مرفوع كما في قراءة الجمهور إلا أنَّ الضمَّة مقدَّرة.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الفعلِ الفظيع ﴿نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٨﴾ أي: بكلِّ مَن أجرم، والمراد أنَّ سُنَّتنا جاريةٌ على ذلك.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم إذ أهلكناهم ﴿لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٩﴾ بآياتِ الله تعالى وأنبيائِه عليهم السلام، وليس فيه تكريرٌ؛ لمَا أنَّ الويلَ الأوَّل لعذاب الآخِرة، وهذا لعذاب الدنيا. وقيل: لا تكرير؛ لاختلافِ متعلَّق المكذِّبين في الموضعين، بأن يكون متعلَّقه هنا ما سمعت، وفيما تقدَّم: «يوم الفصل» ونحوه، وكذا يقال فيما بَعْدُ، وجوّز اعتبار الاتحاد، والتأكيد أمرٌ حَسَن لا ضيرَ فيه.

﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٢٠﴾ من نطفة قَذِرَة مهينة، وليس فيه دليل على نجاسة المنيِّ ﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝٢١﴾ هو الرَّحِم ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢٢﴾ أي: مقدار معلوم عند الله تعالى من الوقت، قدَّره سبحانه للولادة، تسعة أشهر أو أقلّ منها أو أكثر.

---

(١) القراءات الشاذة ص١٦٧، والبحر المحيط ٨/ ٤٠٥.
(٢) القراءات الشاذة ص١٦٧، والمحتسب ٢/ ٣٤٦، والبحر المحيط ٨/ ٤٠٥.
(٣) بسكون الراء كما ذكر أبو حيان في البحر ٨/ ٤٠٥، وسلفت القراءة عند تفسير الآية المذكورة.

﴿فَقَدَرْنَا﴾ أي: فقدرنا ذلك تقديراً ﴿فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ۝٢٣﴾ أي: فنِعْمَ المقدِّرون له نحن. وجوّز أن يكون المعنى: فقدرنا على ذلك فنِعْم القادرون عليه نحن. والأوّل أَولى لقراءة عليٍّ كرَّم الله تعالى وجهه ونافع والكسائي: «فَقَدَّرْنا» بالتشديد[١]، ولقوله تعالى: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ [عبس: ١٩] ولقوله سبحانه: ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [المرسلات: ٢٢] فزاده تفخيماً بأن جعلت الغاية مقصودة بنفسها، فقيل: فقدَّرنا ذلك تقديراً، أي: تقديراً دالًّا على كمال القدرة وكمال الرحمة، على أنَّ حديثَ القدرة قد تمَّ في قوله تعالى: «ألم نخلقكم»، وقول الطيبيِّ في ترجيح الثاني: إثبات القدرة أَولى؛ لأنَّ الكلام مع المنكِرين = لا وجهَ له، إذ لا أحد يُنكِر هذه القدرة، ولو سلِّم فقد قرِّروا بها بقوله تعالى: «ألَم نخلقكم»، فتأمَّل.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٢٤﴾ أي: بقدرتِنا على ذلك أو الإعادة.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥﴾ الكِفَات: اسمُ جنس، أو اسمُ آلة لما يُكْفَت، أي: يُضَمُّ ويُجمَع، مِن كَفَتَ الشيءَ: إذا ضمَّه وجمعه، كالضمام والجِماع لما يُضَمُّ ويُجمَع، وأنشدوا قولَ الصمصامة بنِ الطِّرِمَّاح:

فأنتَ اليومَ فوقَ الأرضِ حيًّا ... وأنتَ غداً تضمُّك في كِفَاتِ[٢]

وعن أبي عبيدة تفسيره بالوعاء[٣].

وقوله تعالى: ﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ۝٢٦﴾ مفعولٌ لفعل محذوف، لا «لكِفَاتاً»؛ لأنَّ اسمَ الجنس وكذا اسم الآلة كما صرَّح به النحاةُ لا يَعملُ، أي: أَلَم نجعلها كِفاتاً تكفتُ وتَجمعُ أحياءً كثيرة على ظهرها وأمواتاً غير محصورة في بطنها.

وقيل: هو مصدر كالقتال نُعت به للمبالغة، فلا يحتاج إلى تقدير فعل. وقيل: جمع كافِت، كصِيام وصَائِم، فلا يحتاج إلى تقدير أيضاً. أو: جمع كِفْتٍ ـ بكسر الكاف وسكون الفاء ـ وهو الوعاء كقِدْح وأقْدَاح، وأُجريَ على الأرض مع جمعه وإفرادها؛ باعتبار أَقْطارها.

---

(١) التيسير ص٢١٨، والنشر ٢/ ٣٩٧، والبحر المحيط ٨/ ٤٠٦.

(٢) النكت والعيون ٦/ ١٧٩، وتفسير القرطبي ٢١/ ٥٠٦.

(٣) مجاز القرآن ٢/ ٢٨١.

وجوّز انتصابُ الجمعين على الحاليَّة مِن مفعول «كفاتاً» المحذوف، والتقدير: كفاتاً إيَّاهم وإيَّاكم ـ أو: كفاتاً الإنس ـ أحياءً وأمواتاً أو من مفعولٍ حُذِفَ مع فعله، أي: كفاتاً تَكفتهم، أو: تَكفتكم، أو: تكفت الإنس أحياءً وأمواتاً، وأن يكون انتصابهما على المفعوليَّة لـ «نجعل»، بتقدير مضاف، أي: ذات أحياء وأموات، أو على أنَّ المراد بـ «أمواتاً» الأرض المَوَات ـ على ما أخرجه ابن أبي حاتم عن مجاهد ـ وبـ «أحياء» ما يقابلها، وانتصاب «كفاتاً» على الحاليَّة من «الأرض». وأنتَ تَعلمُ أنَّ انتصابهما على المفعوليَّة أظهرُ، وبعده انتصابهما على الحاليَّة مِن محذوف.

وتنوينهما على ما سمعت أوّلاً للتكثير، وجوّز أن يكون للتبعيض بإرادة أحياء الإنس وأمواتهم، وهم ليسوا بجميع الأحياء والأموات، ولا ينافي ذلك التفخيم؛ نظراً إلى أنَّه بعضٌ غير محصور كثير في نفسه، فلا تغفل.

واستدلَّ الكيا(١) بالآية على وجوبِ مواراةِ الميت ودَفْنِه. وقال ابنُ عبد البرِّ: احتجَّ ابن القاسم بها على قَطْع النَّبَّاش؛ لأنَّه تعالى جَعَلَ القبرَ للميت كالبيت للحيِّ، فيكون حِرْزاً(٢). ولا يَخفى ضَعْفُ الاستدلالين.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ أي: جبالاً ثوابت ﴿شَٰمِخَٰتٍ﴾ مرتفعات، ومنه: شَمَخَ بأنفِه، ووَصْفُ جمع المذكَّر بجمع المؤنَّث في غير العقلاء مُطَّرِد كـ «أشهر معلومات»، وتنكيرها للتفخيم أو للإشعار بأنَّ في الأرض جبالاً لم تُعرَف ولم يُوقف عليها، فأرضُ اللهِ تعالى واسعة، وفيها ما لم يَعلمه إلا الله عزَّ وجلَّ، وقيل: للإشعار بأنَّ في الجبال ما لم يُعرَف وهو الجبال السماويَّة، وهو ممَّا يوافق أهلَ الفلسفة الجديدة، إذ قالوا بوجود جبالٍ كثيرة في القمر، وظنُّوا وجودَها في غيره، وتعقّب بأنَّه تفسير بما لم يعرف.

﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾﴾ أي: عذباً، وذلك بأنْ خلقناه في أصولها، وأجريناه لكم منها في أنهار، وأنبعناه في منابعَ تستمدُّ ممَّا استودعناه فيها، وقد يفسَّر بما هو أعمُّ من ذلك والماء المنزل من السماء.

---

(١) في أحكام القرآن له ٤/ ٤٢٨.

(٢) الاستذكار ٨/ ٣٤٤، والتمهيد ١٣/ ١٤١.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٢٨﴾ بأمثال هذه النِّعَم العظيمة.

﴿انطَلِقُوا﴾ أي: يقال لهم يومئذٍ للتوبيخ والتقريع: انطلقوا ﴿إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢٩﴾ في الدنيا من العذاب ﴿انطَلِقُوا﴾ أي: خصوصاً، فليس تكراراً للأوَّل، وقيل: هو تكرار له وإن قُيِّدَ بقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ ظِلٍّ﴾ هو ظلُّ دخان جهنَّم، كما قاله جمهور المفسِّرين، فهو كقوله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٣] وفيه استعارة تهكميَّة.

وقرأ رويس عن يعقوب: «انْطَلَقُوا» بصيغة الماضي[1]، وهو استئناف بيانيٌّ كأنَّه قيل: فما كان بعد الأمر؟ فقيل: انْطَلَقوا إلى ظلٍّ.

﴿ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ۝٣٠﴾ متشعِّب ـ لعِظَمه ـ ثلاثَ شعب، كما هو شأنُ الدخان العظيم تراه يتفرَّق تفرُّق الذوائب، وفي بعض الآثار: يخرج لسانٌ من النار فيحيط بالكفَّار كالسُّرادق، ويتشعَّب من دخانها ثلاثَ شعب فتظلُّهم حتى يفرغَ من حسابهم، والمؤمنون في ظلِّ العرش. وخصوصيَّة الثلاث؛ قيل: إمَّا لأنَّ حجابَ النفس عن أنوار القُدُس الحسُّ والخيال والوهم، أو لأنَّ المؤدِّي إلى هذا العذاب هو القوَّة الوهميَّة الشيطانيَّة الحالَّة في الدماغ، والقوَّة الغَضَبية السَّبُعيَّة التي عن يمين القلب، والقوَّة الشهويَّة البهيميَّة التي عن يساره ولذلك قيل: تقف شُعبةٌ فوق الكافر وشُعبةٌ عن يمينه وشُعبةٌ عن يساره. وقيل: لأنَّ تكذيبَهم بالعذاب يتضمَّن تكذيبَ الله تعالى وتكذيبَ رسولِه ﷺ، فهناك ثلاثة تكذيبات، واعتبر بعضهم التكذيبَ بالعذاب أصلاً، والشُّعَب الثلاث التكذيبان المذكوران وتكذيبُ العقل الصريح، فتأمَّل.

وعن ابنِ عباس: يقال ذلك لعَبَدة الصليب، فالمؤمنون في ظلِّ الله عزَّ وجلَّ، وهم في ظلِّ معبودهم وهو الصليب له ثلاث شعب.

﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾ أي: لا مظلِّل، وهو صفة ثانية لظلٍّ، ونفي كونه مظلِّلاً عنه ـ والظِّلُّ لا يكون إلا مظلِّلاً ـ للدلالة على أنَّ جعله ظلّاً تهكُّمٌ بهم، ولأنَّه ربَّما يتوهَّم أنَّ فيه راحةً لهم، فنفى هذا الاحتمال بذلك، وفيه تعريض بأنَّ ظلَّهم غيرُ ظلِّ المؤمنين.

---

(١) النشر ٢/٣٩٧، والبحر المحيط ٨/٤٠٦.

﴿وَلَا يُغْنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ۝٣١﴾ وغير مفيد في وقت من الأوقات من حرِّ اللهب شيئاً، وعدِّي «يغني» بـ «من»، لتضمُّنه معنى يبعد، واشتهر أنَّ هذه الآية تشير إلى قاعدة هندسيَّة وهي أنَّ الشكل المثلَّث لا ظلَّ له، فانظر هل تتعقَّل ذلك.

﴿إِنَّهَا﴾ أي: النار، الدالُّ عليها الكلام، وقيل: الضمير للشُّعَب ﴿تَرْمِى بِشَرَرٍ﴾ هو ما تطايرَ من النار، سُمِّي بذلك لاعتقاد الشَّرِّ فيه، وهو اسم جنس جمعي، واحده: شَرَرة ﴿كَٱلْقَصْرِ ۝٣٢﴾ كالدار الكبيرة المشيَّدة، والمراد كلّ شَرَرة كذلك في العِظَم، ويدلُّ على إرادة ذلك ما بعد، ويؤيِّده قراءةُ ابنِ عباس وابن مقسم: «بشِرار» بكسر الشين وألف بين الراءين[1]، فإنَّ الظاهر أنَّه جمع شَرَرة كرَقَبة ورِقاب، فيدلُّ على أنَّ المشبَّه بالقَصْر الواحدة، وكذا قراءة عيسى: «بِشَرَار» بفتح الشين وألف بين الراءين أيضاً[2]، فقد قيل: إنَّه جمعٌ لشَرَارة لا مفرد. وجوِّز على قراءة الكسر أن يكون جمعَ شَرٍّ غيرِ أفعلِ التفضيل، كخيار جمع خَيْر، وهو حينئذٍ صفة أُقيمت مقامَ موصوفها، أي: تَرمي بقوم شِرار، وهو خلاف الظاهر.

وقيل: القَصْر: الغليظ من الشجر، واحده: قَصْرة نحو جَمْرة وجَمْر، وقيل: قِطَعٌ من الخشب قَدْرَ الذراع وفوقه ودونه، يستعدُّ به للشتاء، واحده كذلك، فالتشبيهُ من تشبيه الجمع بالجمع مِن غير احتياجٍ للتأويل بما مرَّ، إلا أنَّ التهويل على القول الأخير دونه على غيرِه.

وقرأ ابن عباس ومجاهد وابن جبير والحسن وابن مقسم: «كالقَصَر» بفتح القاف والصاد[3]، وهي أصول النخل، وقيل: أعناقها، واحدها: قَصَرة كشَجَرة وشَجَر، وفي كتاب «النبات»: الحبَّة لها قشرتان، التحتيَّة تسمَّى قشرة[4]، والفوقيَّة تسمَّى قَصَرة، ومنه قوله تعالى «كالقَصر»، وهو غريب.

---

(١) القراءات الشاذة ص١٦٧، والبحر المحيط ٨/ ٤٠٧.

(٢) البحر المحيط ٨/ ٤٠٧.

(٣) القراءات الشاذة ص١٦٧، والبحر المحيط ٨/ ٤٠٧.

(٤) جاء في هامش الأصل: بالقاف، وفي نسخة: حشرة، بالحاء المهملة، وهو صحيح أيضاً كما لا يخفى على من رجع إلى القاموس [مادة (حشر)]. انتهى منه.

وقرأ ابن مسعود: «كالقُصُر» بضمَّتين[1] جمع قَصْر كرَهْن ورُهُن، وفي «البحر»: كأنَّه مقصور من القصور، كالنجم من النجوم[2]. وهو مخالف للظاهر؛ لأنَّ مثلَه ضرورةٌ أو شاذٌّ نادر.

وقرأ ابن جبير والحسن أيضاً «كالقِصَر» بكسر القاف وفتح الصاد[3]، جمع قَصَرة بفتحتين، كحَلَقة من الحديد وحِلَق، وحَاجة وحِوَج. وبعض القرَّاء: «كالقَصِر» بفتح القاف وكسر الصاد[4]، وهو بمعنى القَصْر في قراءة الجمهور.

﴿كَأَنَّهُۥ﴾ أي: الشرر ﴿جِمَٰلَتٌ﴾ بكسر الجيم، كما قرأ به حمزة والكسائيُّ وحفص وأبو عمرو في رواية الأصمعي وهارون عنه[5]، وهو جمع جَمَل، والتاء لتأنيث الجمع كما في «البحر»[6]، يقال: جَمَل وجِمَال وجِمَالة، أو اسم جمع له كما قيل في حَجَر وحِجَارة، والتنوين للتكثير.

﴿صُفْرٌ ﴿٣٣﴾﴾ فإنَّ الشَّرار لِمَا فيه من الناريَّة والهوائيَّة يكون أصفرَ، فالصفرة على معناها المعروف، وقيل: سود، والتعبير بـ «صُفْر» لأنَّ سوادَ الإبل يَضرِبُ إلى الصُّفْرة، شبَّه الشرر حين ينفصلُ من النار في عِظَمه بالقَصْر، وحين يأخذ في الارتفاع والانبساط لانشقاقه عن أعداد غيرِ محصورة بالجِمال، لتَصَوُّر الانشقاق والكثرة والصفرة والحركة المخصوصة، وقد روعي الترتيب في التشبيه رعايةً لترتيب الوجود، وأُفيدَ أنَّ القصورَ والجمال يشبَّه بعضها ببعض، ومنه قوله:

فَوقفتُ فيها ناقتي وكأنَّها فَدن[7] لأقضي حاجةَ المتلوِّمِ[8]

(١) القراءات الشاذة ص١٦٧، والبحر المحيط ٨/ ٤٠٧.
(٢) البحر المحيط ٨/ ٤٠٧.
(٣) القراءات الشاذة ص١٦٧، والمحتسب ٢/ ٤٤٦، والبحر المحيط ٨/ ٤٠٧.
(٤) البحر المحيط ٨/ ٤٠٧.
(٥) التيسير ص٢١٨، والنشر ٢/ ٣٩٧ عن حمزة والكسائي وحفص، والكلام من البحر ٨/ ٤٠٧.
(٦) البحر المحيط ٨/ ٤٠٧.
(٧) في هامش الأصل و(م): فَدَن، كلبن: القصر، جمعه: أفدان. انتهى منه.
(٨) القائل: عنترة بن شداد، والبيت هو الثالث من معلقته.

فالتشبيه الثاني بيان للتشبيه الأوَّل، على معنى أنَّ التشبيهَ بالقَصْر كان المتبادرُ منه إلى الفهم العِظَمَ فحسب، فلمَّا قيل: «كأنَّه جِمَالة صفر» وهو قائمٌ مقامَ التخصيص في القَصْر تكثَّر وجهُ الشَّبَه، كأنَّه قيل: كأنَّه قصرٌ مِن شأنه كذا وكذا، والتشبيه بالجِمال في الكثرة والتتابع وسرعة الحركة أيضاً. والأوَّل هو التحقيق على ما في «الكشف»، وعلى الوجهين ليس التشبيه الثاني من البداء في شيء، ولا حاجةَ في شيء منهما إلى اعتبار كون ضمير «كأنَّه» للقصر.

وقد أَلَمَّ بشيء مِن حُسْنِ ما وقع في الآية من التشبيه أبو العلاء المعري في قوله في مرثيَّة واحدٍ من الأشراف:

المُوقدي نارِ القِرَى الآصالَ والـ ... أسحارَ بالأهْضامِ والأشعافِ
حمراءَ ساطعةَ الذوائب في الدُّجى ... ترمي بكلِّ شرارةٍ كطِرَافِ[1]

وإن كان قد قَصَد بذلك المعارضةَ للآية يكون قد أعمى اللهُ تعالى بصيرتَه عمَّا فيها مِن المَزِيَّة كما أعمى سبحانه بَصَرَه.

وقرأ الجمهور ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «جِمَالات» بكسر الجيم وبالألف والتاء[2]، جمع: جِمال أو جِمالة بكسر الجيم فيهما، فيكون جمعَ الجمع، أو جمعَ اسم الجمع، والمعنى على ما سمعت. وقرأ ابن عباس وقتادة وابن جبير والحسن وأبو رجاء بخلاف عنهم كذلك إلا أنَّهم ضمُّوا الجيم[3]، على أنَّه جمع جِمالة على ما في «الكشاف»[4]، وقال في «البحر»: هي حبال[5] السفن[6]، الواحد منها جُمْلة؛ لكونه جملة من الطاقات، ثم جُمع على جمل وجِمال، ثم

---

(١) شروح سقط الزند ص١٣٠٥-١٣٠٧، والهِضْم: المطمئنُّ من الأرض، والشعف: رأس الجبل، والطِّراف: قبَّة من أَدَم.

(٢) التيسير ص٢١٨، والنشر ٢/ ٣٩٧، والبحر المحيط ٨/ ٤٠٧ والكلام منه.

(٣) المحتسب ٢/ ٣٤٧، والبحر ٨/ ٤٠٧ وهي قراءة رويس عن يعقوب من العشرة، كما في النشر ٢/ ٣٩٧.

(٤) ٤/ ٢٠٤.

(٥) في مطبوع البحر المحيط ٨/ ٤٠٧: جمال.

(٦) جاء في هامش الأصل: أي: البحرية.

جمع جِمال ثانياً جمع صحَّة، فقالوا: جِمالات، وقيل: هي قُلوس الجسور، أي: حِبَالها التي تُشَدُّ بها، وروي ذلك عن ابن عباس وابن جبير قالا: إنَّها إذا اجتمعت مستديرة بعضها إلى بعض جاء منها أجرام عِظَام.

وعن ابن عباس أيضاً: هي قِطَعُ النحاس الكبار. والظاهر أنَّ التشبيهَ على هذا باعتبار اللون، وعلى ما سبق باعتبار الامتداد والالتفاف.

وقرأ ابن عباس أيضاً والسلميُّ والأعمش وأبو حيوة وأبو بحرية وابن أبي عبلة ورويس: «جُمَالة» كقراءة حفص ومَن معه إلا أنَّهم ضمُّوا الجيم(١)، وهي عند الزمخشريِّ(٢) اسم مفرد بمعنى القَلْس، وجُمعَ «صُفْر» لإرادة الجنس.

وقرأ الحسن: «صُفُر» بضمِّ الفاء(٣).

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ الإشارة إلى وقت دخولهم النار، أي: هذا يوم لا ينطقون فيه بشيءٍ لعِظَم الدهشة وفَرْط الحيرة، ولا ينافي هذا ما ورد في موضع آخَر مِن النطق؛ لأنَّ يوم القيامة طويلٌ له مواطن ومواقيت، ففي بعضها ينطقون، وفي بعضها لا ينطقون. وجوّز أن يكون المراد: هذا يوم لا ينطقونَ بشيءٍ ينفعهم، وجُعلَ نطقُهم لعدم النفع كَلَا نطق.

وقرأ الأعمش والأعرج وزيد بن عليٍّ وعيسى وأبو حيوة وعاصم في رواية: «هذا يومَ» بالفتح(٤)، فقيل: هو فتح إعراب، على أنَّ «هذا» إشارة إلى ما ذكر، و«يوم» منصوب على الظرفيَّة متعلِّق بمحذوف وقع خبراً لـ «هذا»، أي: هذا الذي ذكر من الوعيد واقعٌ في يوم لا ينطقون، وقيل: هو فَتْحُ بناءٍ، و«يوم» في محلِّ رفع على الخبريَّة، وبُنيَ لإضافته للجملة ولِمَا حقُّه البناء، وعن صاحب «اللوامح»: قال عيسى: بناء «يوم» على الفتح مع «لا» لغةُ سُفْلى مُضَر؛ لأنَّهم جعلوه معها كالاسم

---

(١) القراءات الشاذة ص١٦٧، والبحر المحيط ٨/ ٤٠٧.

(٢) الكشاف ٤/ ٢٠٤.

(٣) البحر المحيط ٨/ ٤٠٧.

(٤) القراءات الشاذة ص١٦٧، والبحر المحيط ٨/ ٤٠٧.

الواحد، وأنتَ تعلم أنَّ الجملة المصدَّرة بمضارع مثبت أو منفي لا يجيز البصريون في الظرف المضاف إليها البناء بوجهٍ، وأنَّ ما ذكر مذهبٌ كوفيٌّ.

﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ﴾ قيل: في النطق مطلقاً، أو في الاعتذار، وقرأ زيد بن عليٍّ كما حكى عنه أبو عليٍّ الأهوازيُّ بالبناء للفاعل[1]، أي: ولا يَأْذَنُ اللهُ تعالى لهم.

﴿فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ عطف على «يؤذن» منتظم معه في سلك النفي، والفاء للتعقيب بين النفيين في الإخبار في قول، ولترتُّب النفي الثاني نفسه على الأوَّل في آخَر، ونظر فيه. ولم يقل: فيعتذروا، بالنصب في جواب النفي، قيل: ليفيد الكلام نفيَ الاعتذار مطلقاً، إذ لا عذرَ لهم ولا يعتذرون، بخلاف ما لو نصب وجعل جواباً فإنَّه يدلُّ على أنَّ عدم اعتذارهم لعدم الإذن، فيُوهم ذلك أنَّ لهم عذراً لكن لم يُؤْذَن لهم فيه، وقال ابنُ عطيَّة: إنَّما لم يُنصَب في جواب النفي، للمحافظة على رؤوس الآي، والوجهان جائزان[2]. وظاهره استواء المعنى عليهما، وهو مخالفٌ لكلامهم لقولهم بالسببيَّة في النَّصْب دون الرفع، نعم ذهب أبو الحجَّاج الأعلم[3] إلى أنَّه قد يُرفَع الفعل ويكون معناه على قلَّةٍ معنى المنصوب بعد الفاء، وأنَّ النحويين إنَّما جعلوا معنى الرفع غير معنى النصب رعياً للأكثر في كلام العرب، وجَعَلَ دليله على ذلك هذه الآية، وردَّ عليه ذلك ابنُ عصفور وغيره، فتدبَّر.

والظاهر أنَّ نفي الاعتذار باعتبار بعضِ المواطن والمواقيت كنفي النطق، وجوَّز أن يكون المنفي حقيقةَ الاعتذار النافع، فلا منافاةَ بين ما هنا وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ [غافر: ٥٢].

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَـٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ بين المحقِّ والمُبطِل ﴿جَمَعْنَـٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾ أي: من تقدَّمكم من الأمم، والكلام تقرير وبيان للفصل؛ لأنَّه لا يُفصَل بين المحقِّ والمُبطِل إلا إذا جمع بينهم ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾﴾ فإنَّ جميعَ من كنتم

(١) البحر المحيط ٨/ ٤٠٧.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٠.
(٣) أي: الأعلم الشنتمري، وينظر كلامه في المسألة في كتابه تحصيل عين الذهب ص٣٩٣.

تقلِّدونهم وتقتدونَ بهم حاضرون، وهذا تقريعٌ لهم على كيدِهم للمؤمنين في الدنيا وإظهار لعَجْزهم ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾﴾ حيث ظهر أنْ لا حولَ لهم ولا حيلةَ في التخلُّص ممَّا هم فيه.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ مِن الكفر والتكذيب لوقوعه في مقابلة المكذِّبين بيوم الدين فيشمل عصاةَ المؤمنين ﴿فِي ظِلَالٍ﴾ جمع: ظِلٍّ، ضدُّ الضِّحِّ، وهو أعمُّ مِن الفَيْءِ، فإنَّه يقال: ظِلُّ الليل، وظِلُّ الجنة، ويقال لكلِّ موضع لم تَصِلِ إليه الشمس: ظِلٌّ، ولا يقال: الفيء، إلا لما زال عنه الشمس، ويعبَّر به أيضاً عن الرفاهة وعن العزَّة والمناعة، وعلى هذا المعنى حمل الراغبُ ما في الآية[1]، والمتبادر منه ما هو المعروف، ويؤيِّده ما تقدَّم في المقابل: «انطلقوا إلى ظلٍّ ذي ثلاث شعب» إلخ، وقراءة الأعمش: «في ظُلَلٍ»[2] جمع ظُلَّة، وأيّاً ما كان فالمراد من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾﴾ أنَّهم مستقرُّون في فنون التَّرَفُّه وأنواع التنعُّم.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ مقدَّر بقولٍ هو حالٌ مِن ضمير المتَّقين في الخبر، كأنَّه قيل: مستقرُّون في ذلك، مقولاً لهم: كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون في الدنيا مِن العمل الصالح كالإيمان وغير ذلك ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الجزاء العظيم ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾ لا جزاءً أدنى منه، والمراد بالمحسنين: المتَّقون السابق ذِكْرهم إلا أنَّه وضع الظاهر موضعَ الضمير مَدْحاً لهم بصفة الإحسان أيضاً مع الإشعار بعلَّة الحكم، وجوِّز أن يُراد بالمتَّقين والمحسنين الصالحون من المؤمنين، ولا دليلَ فيه للمعتزلة على خلود العصاةِ أهلِ الكبائر في النار، وغايةُ الأمر عدم التعرُّض لحالهم.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾ حيث نال أعداؤهم هذا الثوابَ العظيم وهم بَقوا في العذاب الأليم.

﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ حال من المكذِّبين على ما ذهب إليه غير واحد من الأجلَّة، أي: الويل ثابتٌ لهم في حالِ ما يقال لهم ذلك، تذكيراً لِمَا كان

---

(١) المفردات (ظلل).

(٢) تفسير القرطبي ٢١/٥١٦ ونسبها للأعرج والزهري وطلحة، والبحر المحيط ٨/٤٠٨.

يقال لهم في الدنيا ولِمَا كانوا أحقَّاء بأن يُخاطَبوا به حيث تركوا الحظَّ الكثير إلى النَّزْر الحقير، فيفيد التحسيرَ والتخسير، وعلى طريقته قولُه:

إخـوتـي لا تَـبْـعَـدوا أبـداً ... وَبَـلَـى واللهِ قـد بَـعِـدُوا[1]

فهو دعاء لإخوته بعدم الهلكة بعد هلاكهم تقريراً بأنَّهم كانوا أحقَّاء بذلك الدعاء في حياتهم، وأنَّ هلاكهم لحينونة الأجل المسمَّى لا لأنَّهم كانوا أحقَّاء بالدعاء عليهم. وذهب أبو حيَّان[2] إلى أنَّه كلام مستأنف خوطب به المكذِّبون في الدنيا، والأمر فيه أمرُ تحسير وتهديد وتخسير، ولم يعتبر التهديد على الأوَّل؛ لأنَّه غيرُ مقصود في الآخِرة. ورجَّح بأنَّه أبعدُ من التعسُّف وأوفق لتأليف النظم، وفيه نظر.

والظاهر أنَّ قوله سبحانه: «إنَّكم» إلخ في موضع التعليل، وفيه دلالة على أنَّ كلَّ مجرم نهايته تمتُّع أيام قليلة ثم يبقى في عذاب وهلاك أبداً.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا﴾ أي: أطيعوا الله تعالى واخشعوا وتواضعوا له عزَّ وجلَّ بقَبول وَحْيه تعالى واتِّباع دينه سبحانه، وارْفُضُوا هذا الاستكبار والنخوة ﴿لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾﴾ لا يَخشعون ولا يَقبلون ذلك ويُصرُّون على ما هم عليه مِن الاستكبار.

وقيل: أي: إذا أُمروا بالصلاة أو بالركوع فيها لا يَفعلون، إذ روي عن مقاتل أنَّ الآيةَ نزلت في ثقيف، قالوا للرسول عليه الصلاة والسلام: حُطَّ عنَّا الصلاةَ فإنَّا لا نُجبِّي[3]، فإنَّها مسبَّةٌ علينا، فقال عليه الصلاة والسلام: «لا خيرَ في دِيْن ليس فيه ركوع ولا سجود»، ورواه أيضاً أبو داود والطبرانيُّ وغيرهما[4].

---

(١) البيت ذكره التبريزي في شرح ديوان الحماسة ٢/ ١٩٠ ونسبه لفاطمة بنت الأحجم الخزاعية، وكذلك المرزوقي في شرح ديوان الحماسة ٢/ ٩١٢ ولم ينسبه.

(٢) البحر المحيط ٨/ ٤٠٨.

(٣) من التجبية، وهي الانحناء على هيئة الراكع أو الساجد. حاشية الشهاب ٨/ ٣٠٠.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٢١، وزاد المسير ٨/ ٤٥٢، والخبر عند أحمد (١٧٩١٣)، وأبي داود (٣٠٢٦) من حديث عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه.

وأخرج ابنُ جرير عن ابنِ عباس أنَّه قال: هذا يوم القيامة يُدعَون إلى السجود فلا يستطيعون السجودَ مِن أجل أنَّهم لم يكونوا يسجدون في الدنيا(١).

واتصال الآية ـ على ما نقل عن الزمخشريِّ ـ بقوله تعالى: «للمكذبين» كأنَّه قيل: ويلٌ يومئذٍ للذين كذَّبوا والذين إذا قيل لهم اركعوا لا يركعون. وجوّز أن يكون أيضاً بقوله سبحانه: «إنكم مجرمون» على طريقة الالتفات، كأنَّه قيل: هم أحقَّاء بأن يقال لهم: كُلُوا وتمتَّعوا، ثم علّل ذلك بكونهم مجرمين، وبكونهم إذا قيل لهم: صلُّوا، لا يُصلُّون(٢).

واستدلَّ به على أنَّ الأمرَ للوجوب، وأنَّ الكفَّار مخاطبونَ بالفروع.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ﴾ أي: بعد القرآن الناطق بأحاديث الدارين وأخبار النشأتين على نمط بديع مُعجِز مؤسَّسٍ على حجج قاطعةٍ وبراهينَ ساطعةٍ ﴿يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ إذ لم يؤمنوا به، والتعبير بـ «بَعْدَه» دون غيره للتنبيه على أنَّه لا حديثَ يساويه في الفَضْل أو يدانيه، فضلاً أن يفوته ويعاليه، فلا حديثَ أحقُّ بالإيمان منه، فالبعدية للتفاوت في الرُّتبة كما قالوا في: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٣] وكأنَّ الفاء لِمَا أنَّ المعنى: إذا كان الأمر كذلك، وقد اشتمل القرآن على البيان الشافي والحقِّ الواضح، فما بالهم لا يُبادرون الإيمان به قبل الفوت، وحلول الويل، وعدم الانتفاع بـ «عسى» و«لعلَّ» و«ليت».

وقرأ يعقوب وابنُ عامر في رواية: «تؤمنون» على الخطاب(٣).

هذا، ولـمَّا أوجز في سورة «الإنسان» في ذِكر أحوال الكفار في الآخرة، وأطنب في وصفِ أحوال المؤمنين فيها، عَكَس الأمر في هذه السورة فوقع الاعتدالُ بذلك بين السورتين، والله تعالى أعلم.

---

(١) تفسير الطبري ٢٣/ ٦١٣.

(٢) لم نقف عليه في الكشاف، وذكره الشهاب في الحاشية ٨/ ٢٩٩-٣٠٠، ثم قال: كذا في الكشف نقلاً عن الحواشي.

(٣) القراءات الشاذة ص١٦٧، والبحر المحيط ٨/ ٤٠٨.